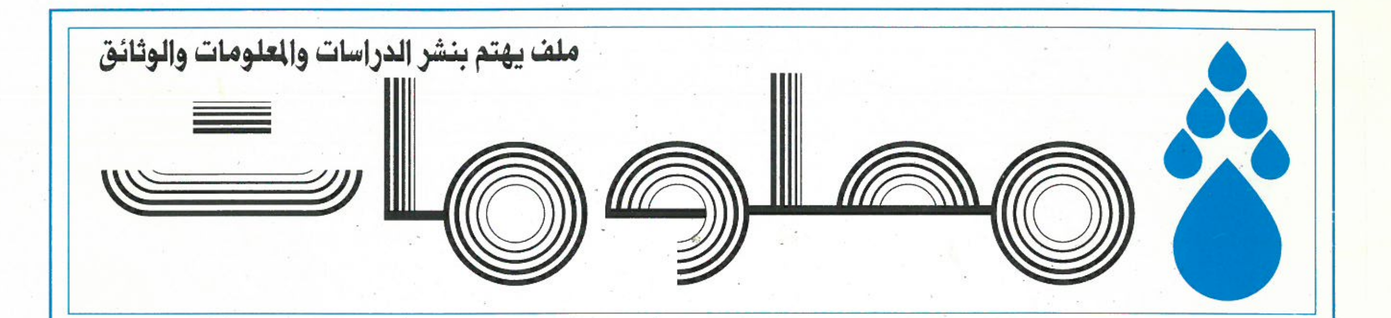




تيارات الاسلام السياسي السني في لبنان

زهير هواري

- خلايا شبكة القاعدة ... حقائق امنية ام «وساوس» سياسية

الجماعة الاسلامية في قراءة الحاضر والتحديات التي تواجهها

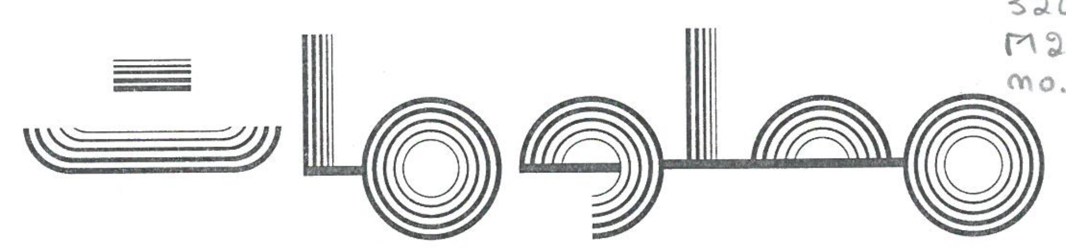
- قصة عصبة الانصار .. وقراءات اسلامية وعلمانية للصحوة

حركة التوحيد من المرحلة الميليشياوية الى المؤسسة التنظيمية

العدد
٣٦

يصدر عن:
المركز العربي للمعلومات

آذار
٢٠٠٣





ملف يهتم بنشر الدراسات والمعلومات والوثائق

محتويات العدد

هيئة التحرير:
حسن السبع ـ صقر أبو فخر
صقر يوسف صقر ـ حسن يوسف

تنفيذ كمبيوتر:
أحمد رياض سلمان

تيارات الاسلام السياسي السني في لبنان

اعداد:
زهير هواري

يصدر عن:
المركز العربي للمعلومات

الحمرا ـ مبنى جريدة «السفير»
هاتف: ٧٤٣٦٠١ ـ ٣٥٠٠٨٠/١
ص.ب. ١٣٥/٨٨٢
فاكس: ٧٤٣٦٠٢ ـ ٣٥٠٠٠٥
بريد الكتروني:
adc@assafir.com

هذا الملف

التيارات الاسلامية السنية في لبنان

بين السادس من شباط (فبراير) والخامس عشر منه نشرت «السفير» سلسلة من التحقيقات عن التيارات السياسية للاحزاب السياسية السنية في لبنان. تناولت هذه التحقيقات تباعاً ما يشاع حول خلايا لتنظيم القاعدة في لبنان، عصبة الانصار في مخيم عين الحلوة، طرابلس وتياراتها بما فيها مجموعة الضنية، حركة التوحيد الاسلامية، المجموعة الاصولية في القرعون - البقاع الغربي، قراءة اسلامية للتيارات هذه، التقليدي منها والمستحدث لكل من الشيخ ماهر حمود في صيدا ونائب امين عام الجماعة الاسلامية د. علي الشيخ عمار. وختاما قراءة للحركة من خارجها تولاها كل من د. شوكت إشتي، د. خالد زيادة، د. احمد موصللي والمحامي رشيد درباس.

لم تنطلق «السفير» في قراءتها لهذه التيارات من ذلك الموقف الاعلامي الذي تطلقه الولايات المتحدة الاميركية واجهزتها الاستخباراتية والاعلامية، لا سيما بعد احداث الحادي عشر من ايلول، بقدر ما حاولت فهم هذه الظاهرة التي تشغل العالم الاسلامي وكذلك الدول التي يتمتع فيها الاسلاميون من خلال الجاليات بوجود وازن. وبديهي ان ترى «السفير» في النمو العددي لهذه الظاهرة امرا طبيعيا ويمكن ادراكه على ضوء جملة عوامل متداخلة مع بعضها بعضاً. في مقدمها تراجع الفكر النهضوي - التحديثي الذي عرفته المنطقة العربية والاسلامية منذ مطالع القرن الماضي، وما أصاب محاولاته من هزيمة على يد كل من قوى الاستعمارين القديم والحديث، وكانت ذروته في الخامس من حزيران العام ١٩٦٧. وفي مسار هذا التراجع اصيب الفكر القومي والتقدمي بهزيمة قاسية كانت ابرز تجلياتها احتلال العاصمة اللبنانية بيروت على يد جيش الغزو الاسرائيلي في العام ١٩٨٢. اكثر من ذلك جاء انهيار الاتحاد السوفياتي ومعه المنظومة الاشتراكية ليضفيا على التوجه نحو الدين مزيدا من الاندفاع، لا سيما وان هذه التيارات اعتبرت نفسها المنتصرة الاولى في هذا الانهيار، الذي كانت هزيمته في افغانستان بفعل مشاركتها قتاليا، في الادارة كانت اميركية والتمويل والتسهيلات عربية، التي وجدت في «الجهاد» فرصة لتفريغ شحنات من التوتر في مجتمعاتها.

لم نعمد الى قراءة هذه التيارات انطلاقا من مداها الاوسع، اذ ان هذا الامر كان من شأنه ان يؤدي الى اسقاطات، بل من خلال جملة الاعاقات التي يعانيها الواقع القومي - الوطني على كل المستويات والصعد. والذي يتفاعل من دون ادنى شك مع المعطيات الدولية، وما تطلقه العولمة من تحديات. لعل الأبرز فيها الآن هو تلك العدوانية التي تنتهجها الولايات المتحدة الاميركية تجاه العراق وشعبه، الى جانب ما تمارسه قوات الاحتلال الاسرائيلية صباح مساء في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، عدا التهديدات المباشرة والمتكررة لكل من لبنان وسوريا. وهذا كله يواجه بعجز عربي عن وضع حدود له، لا سيما بعد اتضاح المضمرات الاميركية بما هي احتلال العراق ووضع اليد على آبار النفط فيه، ضمن مسعى اوسع مدى، قد يكون في الاشهر التالية موجها نحو كل من ايران او مصر والمملكة العربية السعودية او سوريا.. وهو ما وصفه ناظر الخارجية الاميركية كولن باول باعادة ترتيب الوضع في منطقة الشرق الاوسط.

يتبين من التحقيقات المنشورة في هذا الملف، ان العنف الذي توهم به العديد من المجموعات، انما هو في جانب منه بمثابة رد على عنف اكبر تمارسه كل من اميركا واسرائيل. علما ان هذا المنحى يقتصر على مجموعات صغيرة، تكاد تتحلل الى افراد. على ان ما يتوجب التأكيد عليه، ان ما يوهم بانه «الارهاب» عبر استعمال العنف. سيكون اكثر حضورا من مجرى مواجهة الايغال الاميركي باستباحة المنطقة سياسة واقتصادا وثقافة ومعتقدات.. لا يعني ذلك ان الحرب متكافئة، كما لا يعني ان هناك قدرة لهذه الجماعات على الحاق الهزيمة بالسياسة الاميركية، التي تتطلب مواجهتها شروطا فكرية واجتماعية وثقافية لا تتوفر لمثل هذه القوى التي تجعل من نفسها معسكر «ايمان» في مواجهة معسكر «كفر»، لا يقف الأخير عند حدود الادارة الاميركية للمنطقة، ومعها تحالفاتها، بل ينسحب الامر على كل من لا يندغم بالفكر السلفي - الاصولي كما تتصوره هذه الجماعات.

هذا الملف الذي تقدمه «السفير» هو خطوة متقدمة نحو قراءة متنورة لهذه الظاهرة، من خلال الدخول الى اعماقها ورؤيتها بتقاطعاتها الداخلية والاقليمية والدولية، مع تبيان حجمها الحقيقي الذي لا تنفع المبالغة في تضخيمه، مما يتم اللجوء الى نشره على شبكات البث بانواعها. والذي يجعل من مجموعات صغيرة معزولة اجتماعيا، قوة بيولوجية او كيمائية او نووية حتى. ان هذا التضخيم الذي تعتمده الولايات المتحدة يستهدف في جانب منه تسويغ نشرها قواتها على امتداد الارض العربية والاسلامية لمحاربة «قوى الارهاب» على حد وصفها، مع ربط هذه القوى بمن تشاء من الانظمة، كما فعلت مؤخرا عبر تقرير باول الى مجلس الامن الدولي عندما تحدث عن علاقة بين القاعدة والسلطة العراقية. والبديهي ان الملف الذي تقدمه «السفير» لم يستهدف تبرئة بعض هذه المجموعات، ولا كذلك تبرئة الانظمة العربية العاجزة عن اعتماد المبادرات السياسية وغيرها نصرة للعراق وفلسطين.. وبالطبع الولايات المتحدة الاميركية التي تتحرك تحت غطاء نظري فيما المصالح النفطية والاستراتيجية هي الاكثر جلاء.

ويبقى القول ان هذا الانتعاش لهذه التيارات هو رد فعل طبيعي وهو احد الدفاعات الغريزية التي تعتمدها الشعوب في مواجهة تحديات عاصفة تلقى في وجهها من مختلف الاتجاهات والصعد.

شباط ٢٠٠٣ **«معلومات»**

خلايا شبكة القاعدة..
حقائق أمنية أم «وساوس» سياسية؟

في ٢٦ أيلول الماضي، كان ثلاثة أشخاص يتجهون في محلة الروشة نحو مطعم «ماكدونالد»، كان الوقت ظهيرة، وكان الثلاثة يتبادلون أطراف الحديث وسط الباعة والمتنزهين. البحر كعادته هادئ وباعة القهوة يطرقون بأصابعهم الفناجين الخزفية. فجأة توقفت سيارتان ونزل منهما أشخاص عديدون، خمسة على الأقل، ركضوا بين الحشود نحو الاشخاص الثلاثة، واقتادوهم الى داخل السيارتين اللتين انطلقتا بهم نحو مكان مجهول.

العابرون لم يكترثوا كثيرا بالحادث الذي رأوه. بعضهم سمع المهاجمين يتحدثون باسم أجهزة أمنية لبنانية، والبعض الآخر لم يسمع شيئا. فقط رأى عملية إلقاء القبض تجري في وضح النهار. بعد أسابيع قليلة كان يتم الاعلان عن «اكتشاف شبكة للقاعدة في بيروت». ثم لا يلبث قاضي التحقيق العسكري الاول القاضي رياض طليع ان يعلن قرارا ظنيا جاء فيه «انه في الاراضي اللبنانية وبتاريخ لم يمر عليه الزمن أقدموا بالاشتراك والتدخل على تأليف تنظيم إرهابي بقصد ارتكاب الجنايات على الناس والنيل من سلطة الدولة وهيبتها والقيام بأعمال إرهابية. كما أقدموا على تزوير جوازات سفر واستعمالها مع علمهم بالأمر».

في مقدمة القرار الظني أسماء واحد وعشرين شخصا. وكان الموقوفون لا يتعدون الثلاثة، فيما الباقون كانوا مطلوبين للعدالة. واحد تم إيقافه لاحقا، وتحديدا عندما تسلمته السلطات اللبنانية من سلطات توغو في أفريقيا التي بادرت الى إلقاء القبض عليه وترحيله. أما الثلاثة الباقون فكانوا: محمد رامز سلطان من مواليد طرابلس في العام ١٩٦١، السعودي ايهاب حسين دفع من مواليد العام ١٩٧٣ وخالد عمر ميناوي مواليد العام ١٩٨٤. لكن الأخير لم يكن مع الثلاثة الذين ألقي القبض عليهم في محلة الروشة. وكذلك لم يكن معهم عبد الله المهتدي الذي تم تسلمه من توغو في العاشر من كانون الاول من العام ٢٠٠٢. لا يرد اسم الشخص الثالث في التحقيق الا لماما. وكأنه قد ذاب تماما، علما ان الذين عاينوا الحدث من المواطنين رأوا بأم العين إلقاء القبض على ثلاثة لا على إثنين. لا سيما ان خالد عمر ميناوي يقول بشأنه القرار الظني ما يلي: «وقد بوشرت التحقيقات معهما - المقصود سلطان ودفع - التي أدت الى إلقاء القبض على اللبناني المدعى عليه خالد ميناوي المطلوب الى المجلس العدلي، لاشتراكه في أحداث الضنية، حيث تبيّن انهم يشكلون مع آخرين نواة لخلية في شبكة متعددة الجنسيات تابعة لتنظيم القاعدة».

الواضح من النص ان التحقيقات قد بوشرت مع اثنين لا مع ثلاثة، وهي التحقيقات التي قادت الى إلقاء القبض على الميناوي كثالث. أي ان الاخير لم يكن في حينها مع المتهمين.

****

أسئلة وأسئلة

بالطبع الموضوع برمته أمام القضاء العسكري المختص. وهو في المحصلة من يصدر حكمه، وبالتالي فإن مطالعات ومرافعات وأسئلة وأجوبة ستطرح أمام القضاة قبل الوصول الى إعلان الأحكام. الا ان هذا على صحته لا يعني ان الكلام مؤجل برمته في هذه القضية. وهنا تثور جملة من الاسئلة من نوع:

- هل نحن فعلا أمام «خلية في شبكة متعددة الجنسيات تابعة لتنظيم القاعدة» كما جاء في القرار الظني، أم اننا أمام أحد «وساوس» الاداء السياسي الامني للسلطة وتحديدا وزير الداخلية الياس المر وبعض الاجهزة؟ اذ تحت عنوان «مكافحة الارهاب الاصولي السني» يتم الاشتباه بكل ما يمكن ان يصدر عن الافراد والاشخاص، ويصل الى أسماع واحد من المخبرين المنتشرين بكثافة في كل مكان بما فيها المساجد والزوايا؟

ـ وهل حقا ما يقال ان المرونة ورائه بعض أركان السلطة يعمدون الى تقديم أوراق الاعتماد للولايات المتحدة الاميركية وغيرها في إطار الحملة الدولية ضد «الارهاب»، والموجهة كما هو معلوم نحو السنة في المقام الاول؟.. وهي التي وجدت ترجمة لها في ما قاله الوزير المرلـ«السفير» عندما اعترف بأن قرى بأكملها تم سوقها الى التحقيق ولم تصدر نأمة اعتراض واحدة! مما يعني انه تم أخذ هؤلاء بجريرة «إرهابيين» مفترضين.. ثم اذا بالتحقيقات تكشف ان من تم تنسيبهم الى الارهاب لم يكونوا على علاقة به، بل ان سوق هؤلاء مخفورين بعد تطويق قراهم وبلداتهم او التقاطهم من على الحواجز كان فقط يخفي رغبة في التضخيم المفتعل لتقديم أوراق انتساب الى نادي ما بعد الحادي عشر من أيلول، الذي تشترط الولايات المتحدة الاميركية على الراغبين بدخوله أداء معينا.

باختصار، هل يدخل ما حدث في آلية من التعامل تضع «السنة» في قائمة «القاعدة» او طالبان او... وكل هذا أدى الى الاحتقان القائم، الذي ضاعفه ما بين الرئيسين اميل لحود ورفيق الحريري مما صنعه «الحداد» و«النجار» وغيرهما.

أسئلة كثيرة يمكن ان تطرح، وهي أسئلة تستهدف في المقام الاول الأداء السياسي والامني للسلطة لا غير. لكن قبل ان نتابع لا بد من التعريج على ملحق في الموضوع المطروح، أي «نواة الخلية» المذكورة. علما انها ليست المرة الاولى والوحيدة. اذ المعروف مثلا ان كل أحداث تأخذ طابع «العمل السني الجهادي»، سرعان ما تربط بكل من «القاعدة» وطالبان.. وبالتأكيد الارهاب. علما ان الامر لا ينطبق فقط على أحداث الضنية في الشمال و«عصبة الانصار» في عين الحلوة.. بل على كل شاردة وواردة ايضا. حتى انه بات من الصعوبة التمييز بين هذه وتلك. بدليل انه بعد أحداث الضنية في الشمال مثلا، عمدت القوى الامنية الى إلقاء القبض على كل من يرخي ذقنه في طرابلس من مؤمنين وغير مؤمنين حتى. أي ان الاشتباه لم يعد يقتصر على المضمون، بل طال حتى الشكل، وهو ما أدى الى انقلاب التعاطف مع الجيش تضامنا مع المستهدفين الأبرياء.

ملفات وموقوفون

قبل ان يتم تسلم عبد الله المهتدي من سلطات توغو، كانت تتم إحالة خمسة أسماء على القضاء العسكري. وهؤلاء من مجموعة الضنية بتهمة تأسيس خلية لتنظيم «القاعدة» في لبنان وهم: أحمد سليم ميقاتي (مواليد ١٩٦٨) علي محمد حاتم (مواليد ١٩٦٥) محمد يحيى الكعكي (مواليد ١٩٦٧) والفلسطيني معين حسين عبد الرحمن (مواليد ١٩٧٥) واللبناني عبد الله المهتدي نفسه. الجرائم هنا مماثلة لما ورد في الاولى، أي «تأليف تنظيم إرهابي بقصد ارتكاب الجنايات على الناس والنيل من سمعة الدولة وهيبتها والقيام بأعمال إرهابية». وتصل عقوبة ذلك الى الاشغال الشاقة المؤقتة.

هذا الملف الذي أحيل على قاضي التحقيق العسكري الاول القاضي رياض طليع يضم بالتأكيد الى الملف السابق الذي يتناول الثلاثة الذين ورد ذكرهم بداية، أي سلطان ودفع والميناوي.. وفي الجرائم نفسها. عبد الله المهتدي هو القاسم المشترك بين المجموعتين، علما ان أسماء كل من الميقاتي والكعكي وعبد الرحمن ترد في القرار الاتهامي للاولى، بينما يغيب اسم حاتم عنه.

لكن هذا ليس بيت القصيد، فالقرار الاتهامي الذي أصدره طليع حول هؤلاء الخمسة يتقاطع مع القرار السابق في الكثير من النقاط، لا سيما لجهة العلاقة التي ربطت المهتدي مع محمد سلطان والكعكي والاتفاق على الذهاب الى أفغانستان للمشاركة في الجهاد ضد الاميركيين. يذهب المهتدي وسلطان الى طهران للانتقال منها ويتصلان هناك بشخص يدعى ابو عبيدة أعطاهما الكعكي رقم هاتفه، ويبلغهما ابو عبيدة في طهران تعذر الدخول بسبب إقفال إيران الحدود، ويطلب منهما جمع التبرعات لصالح «القاعدة». عادا الى لبنان بعد ان تبرع سلطان بمبلغ ألفي دولار، ثم توجه الى ألمانيا لجمع التبرعات فيما ظل المهتدي في طرابلس، حيث التقى الكعكي وأخبره بما حصل، فيما أبلغه الاخير ان سلطان استطاع جمع مبلغ ثلاثين ألف دولار. سيحاول المهتدي ثانية الوصول الى أفغانستان مع سلطان دون جدوى، ويستمران في جمع التبرعات لمصلحة القاعدة. يتفق الاثنان على قيام سلطان بشحن السيارات من ألمانيا الى التوغو التي انتقل اليها المهتدي. وسافر سلطان الى التوغو ومكث فيها اسبوعا. وفي آذار من العام ٢٠٠٢ عاد المهتدي الى لبنان فاستقبله سلطان، ليخبره ان عبيدة التركي هو في طرابلس بهدف فتح مطعم لإيواء الهاربين من بلدانهم فيه. وبعد يومين سافر سلطان الى ألمانيا وكلف المهتدي الاهتمام به، وقد غادر بعدها الى تركيا بعد ان زوده المهتدي برقم هاتفه ليتصل به. وما لبث المهتدي ان سافر الى توغو مع زوجته، وبعد ٦ أشهر زاره سلطان للاطمئنان على سير العمل، وطلب منه ان يحاول تسفيره الى ألمانيا، ثم عاد الى لبنان حيث ألقي القبض عليه مع السعودي إيهاب دفع. وقد اعترف سلطان بأنه بعد حضور المدعى عليه المهتدي الى لبنان من أفريقيا اجتمع مع عبيدة وتباحثا في شأن إنشاء نواة لتنظيم «القاعدة».

الميناوي بدوره سافر الى تركيا عن طريق الكعكي بعد ان أمن له طريقا للهرب وأقام في منزل ابي الحارث التركي، الذي أمنه له علي حاتم الذي استقبله على المطار مع عبد الرحمن.

إضاءات إضافية

الكثير مما ورد في القرار الاول للقاضي طليع يضيء على الكثير مما ورد في قراره الثاني حول الخمسة. والواضح ان القرارين هما ما يشبه القرار الواحد. ومنه يتبين ان المهتدي تعرف في طرابلس على وليد الشامي وتشاركا الرغبة في القتال مع المجاهدين الافغان والعرب ضد أميركا بعد بدء الحملة الاميركية على أفغانستان. وقد سافر سلطان الى طهران وانتقل الى خراسان للدخول الى أفغانستان ولم يتمكن من الوصول الى هيرات. وهناك تبرع بمبلغ ٢٥٠٠ دولار أميركي أعطاها لعبد الله التركي ثم عاد للبنان ومنه لألمانيا حيث جمع تبرعات نقلها الى تركيا، وقد التقاه المهتدي وأعطاه بعض الاغراض لشخص مطلوب الى العدالة وفار الى تركيا هو خالد ميناوي. وقد استقبله في تركيا ابو عبيدة التركي ونقله الى منزل ابو الحارث حيث يقيم ميناوي حيث أعطاه الاغراض ومساعدة بقيمة ١٢٠ دولارا أميركيا. وفي اسطنبول اجتمع بأبي الحارث السعودي أحد مسؤولي القاعدة والمقيم في إيران والذي

جاء خصيصا لأخذ الاموال من سلطان وعبيدة. وعاد سلطان الى لبنان ثم سافر بعد ٢٠ يوما الى تركيا حيث قابل ابو عبيدة وأعطاه ألفي مارك وأعطى الميناوي ١٥٠ دولارا. واتفق مع الاول للحضور الى لبنان وجمع عدد من الشباب المسلم وتنظيمهم بمجموعة تابعة للقاعدة. بعد عودة سلطان الى لبنان توجه الى السعودية لأداء فريضة الحج، وبوصوله اتصل بدفع الذي لم يتمكن من الحضور الى مكة من الرياض. وعاد سلطان الى لبنان وفي اليوم الثاني لوصوله حضر عبيدة التركي واصطحبه الى طرابلس حيث درسا إمكانية فتح المطعم وجمع عدد من الشباب لتدريبهم عسكريا وجهاديا وليكونوا نواة للقاعدة. وفي اليوم الثالث توجه سلطان والتركي للمطار حيث أحضرا شخصين من أوكرانيا ويحملان جنسيتها الى طرابلس واجتمع التركي معهما ثم غادرا لبنان الى جهة مجهولة.

هنا في القرار جملة تفاصيل حول أسفار سلطان، ثم بعد عودته الى لبنان التقى في طرابلس بالمدعى عليه خالد ميناوي الذي أخبره بعودته مستعملا جواز سفر مغربيا مزورا. وطلب منه مساعدته في إخراج مطلوبين في ملف الضنية من عين الحلوة الى طرابلس وتأمين مكان سري وآمن لإقامتهم فيها. وأكد له إلقاء السلطات التركية القبض على عبيدة التركي وآخرين. وبعدها غادر سلطان الى السعودية والتقى دفع وطلب منه تأمين شخص بإمكانه تدريب مجموعة على القتال والجهاد فوعده دفع خيرا، فعاد سلطان الى لبنان ثم سافر منه الى ألمانيا ثم تركيا. ولدى عودته الى لبنان اتصل بدفع فأخبره الاخير انه سيحضر الى لبنان للتباحث في المواضيع كافة. وقد حضر دفع في ٢٥ أيلول فاصطحبه سلطان الى طرابلس للاطلاع على الشقة التي سيقيم فيها المدرب، فأخبره دفع انه طلب من المسؤول في تنظيم القاعدة سلمان أحمد سلمان تأمين المدرب وأخبره انه سيرسل شخصا يدعى فهد، يمني او سعودي، ولديه خبرة عسكرية وجهادية وملم بالمتفجرات او شخص فيليبيني لديه الخبرة، ويعتقد انه من جماعة ابو سياف في الفيليبين. واقترح دفع ان تكون بيروت مقر المدرب كونها أكبر والتحرك فيها أسهل، وان يقتصر المتدربون على اربعة عناصر يتحولون الى مدربين، وان يطلق على التنظيم اسم «حركة الجهاد الاسلامي» بدلا من القاعدة نظرا للظروف. كما تم الاتفاق معه على شراء جهاز اتصال لاسلكي قيمته سبعة آلاف دولار من دبي وتسليمه الى مسؤول القاعدة في إيران أبو عبد الرحمن السعودي ومركزه منطقة زابوك القريبة من الحدود الافغانية من أجل الاتصال بالمجاهدين ومسؤولي القاعدة في أفغانستان والتنسيق معهم حول كيفية إدخال المتطوعين.

ويتبين من دفع انه على معرفة مع السعودي المدعى عليه سلمان أحمد سلمان الذي ينتمي الى القاعدة وهو الذي أرسله الى تركيا حيث تعرف على سلطان وعدد من عناصر القاعدة. وعمل دفع في جمع التبرعات كما تسلم من سلمان ٤٣٠٠ دولار أميركي نقله الى تركيا حيث سلمه الى أبي عبد الله التركي أضافه الى ٣٠٠ دولار منه. واستمر دفع في نقل أموال التبرعات بين ابي الحارث (سلمان) وعبد الله التركي الى ان تعرف بواسطة الاخير على سلطان. وكان عبيدة قد طلب من دفع تأمين شخص يحمل الفكر الجهادي ولديه خبرة في التدريب على الاسلحة والمتفجرات لإرساله الى لبنان، وقد نقل الامر الى ابي الحارث الذي جمعه بشخص يدعى صالح الأحمدي، يمني الجنسية مقيم في السعودية، الا ان الاخير رفض. لكنه عن طريق اخيه سالم أمن «الشيخ المدرب»، وقد اتصل بسلطان وأخبره انه استطاع تأمينه وانه سيحضر الى لبنان في أسرع وقت، وبعد ان وصل الى لبنان أقام في فندق رويال بلازا ليلة واصطحبه سلطان الى طرابلس حيث اطلع على الشقة وأبدى رأيه، لكنه عاد في اليوم الثاني وانتقل الى فندق الموفمبيك، وقد تواعد على لقاء سلطان لتناول الغداء معا في مطعم الماكدونالد حيث ألقي القبض عليهما في ٢٦ أيلول من العام ٢٠٠٢.

دول واتهامات

من خلال محضري القرارين الاتهامين، يتبين ان التعداد الذي بلغته المجموعة الاولى التي وردت أسماؤها في المحضر هو واحد وعشرين اسما. أما الثانية فقد اقتصرت على خمسة أسماء فقط. لكن هناك ما هو أكثر من مجرد الاسماء، سواء كانت اسماء فعلية او «حركية». كان أصحابها موقوفين او متوارين عن الانظار. يتبين مثلا ان الجنسيات الواردة في القرار الاول تتألف على النحو التالي: خمسة لبنانيين، خمسة سعوديين، اربعة أتراك، تونسي، يمني، فلسطيني، وأربعة مجهولو الجنسية. ثم ان التحقيقات لم تتوصل الى تحديد كامل هوية سبعة أشخاص. في القرار الثاني هناك خمسة أسماء، منهم اسمان ترددا في أحداث الضنية (أحمد سليم ميقاتي وعلي محمد حاتم) فيما اسم الفلسطيني معين عبد الرحمن يرد في كلا القرارين. عبد الله المهتدي هو اسم إضافي على ملف الضنية. مما يعني ان مجموعة الاشخاص الواردين في القرارين هو ٢٣ شخصا وليس ستة وعشرين، باعتبار ان الاسماء الباقية مكررة في ملف الضنية او القرار الاتهامي الاول.

هذا على صعيد الاسماء والاشخاص، لكن هناك ما هو أكثر على مستوى الدول التي وردت في القرارين. اذ يتبين انه في القرارين اللذين بنيا على التحقيقات مع الموقوفين جاءت اسماء كل من: لبنان، تركيا، ايران، افغانستان، النمسا، البرتغال، فرنسا، اوكرانيا، استراليا، ألمانيا، المملكة العربية السعودية، الفيليبين، دبي، تونس، المغرب، اليمن، فلسطين، توغو. أما المدن التي وردت فهي: بيروت، طرابلس، اسطنبول، مكة المكرمة، الرياض، طهران، خراسان، هيرات و...

المقصود ان القرارين الاتهامين ليسا شأنا لبنانيا، بل هما شأن دولي، باعتبار انه يطال دولا عربية وغربية، إسلامية وغير إسلامية. هذا جانب في الموضوع، وهو هام ورئيسي. يكفي ان نعلم ان السفارة الاسترالية في بيروت التي يحمل سلطان جنسيتها الى جانب جنسيته اللبنانية قد طلبت الاطلاع على التحقيقات. ثم هناك كل من تركيا و... وإيران التي تبدو من خلال القرارات وكأنها محطة من محطات الدخول الى افغانستان، رغم انها كما هو وارد كانت قد اقفلت الحدود، الا ان هناك اشارة الى دخول عناصر من القاعدة واستشهاد أحدهما داخل افغانستان. لكن الاهم انها تظل وكأنها موقع امامي للقاعدة، منه تتم عملية إدخال المتطوعين والاموال الى أفغانستان. وهو أمر في منتهى الخطورة في ظل الظروف الاقليمية السائدة.. لكن يبقى ما يقال على صعيد «الحضور» السعودي في قراري الاتهام، فإذا كان القرار الثاني لا يتضمن أي اسم لسعودي، فإن الاول يتضمن خمسة اسماء. وهذا يعني صراحة توازنا بين عدد اللبنانيين وعدد السعوديين بواقع خمسة لكل حاملي الجنسيتين، فيما تأتي بعدهما تركيا بأربعة، أي ان السعودية تتوازى مع لبنان في عدد المتهمين. علما ان اختيار الثاني لتأسيس النواة يفترض به ان يكون العدد فيه أضعاف أضعاف ما هو عليه في الاولى.

بالطبع يتقاطع مثل هذا الاستنتاج مع ما اعتبرته الولايات المتحدة الاميركية دوما، من ان المملكة ومدارسها ومدنها ومؤسساتها هي المصنع الذي تتم منه عمليات تفريخ الارهابيين بل تصديرهم لتنفيذ الهجمات ضد الاهداف الاميركية في نيويورك وواشنطن وسواهما. أي ان ما تضمنه القراران اللبنانيان يصب في طاحونة المياه الاميركية لجهة المسؤولية السعودية. ومثل هذا الامر له مستتبعاته على الصعيد السياسي كما هو معلوم. خصوصا اذا ما انطلقنا من القرار الاول الذي يعتبر السعودية مكانا آمنا لجمع التبرعات وتدبير المدربين وإرسال المتطوعين و...

دفاع جزئي

التركيز على المملكة العربية السعودية له مبرراته. آخر تجليات دور وموقع وعلاقة المملكة مع لبنان تجلت في قضية البرنامج الذي كانت محطة N.T.V اللبنانية الفضائية قد قررته في اطار حلقات «بلا رقيب» وما تركته من تداعيات، ليس فقط على مستوى العلاقات الدبلوماسية، بل على صعيد العلاقات الداخلية ايضا لا سيما بين الرئيسين لحود والحريري.

وهذا يفترض التدقيق في وضع ايهاب دفع على الاقل، باعتبار ان التدقيق في شأن الآخرين الواردة اسماؤهم في القرار الاتهامي الاول، من شأن سلطات المملكة وخارج متناول اليد.

السفارة السعودية بادرت ومنذ ان تبلغت الامر الى تكليف محام للدفاع عن دفع، كما ان شقيقه حضر الى لبنان خصيصا وكلف بدوره المحامي عبد الفتاح شحاده تولي المهمة. وهكذا بات للدفع محاميان لا محام واحد. لكن الجلسة الاولى قد تأجلت بسبب إضراب نقابة المحامين واحتجاجها لثلاثة أيام على الاجراءات الامنية. لا يعني ذلك الا بعض التأخير لا أكثر ولا أقل، فيما القضية المطروحة تثير دولا وجهات وأشخاصا بطبيعة الحال، ولكل أسباب اهتمامها بطبيعة الحال.

يقول شحادة: بداية لا بد من القول ان ايهاب دفع لا يسمح له وضعه الصحي بالذهاب للالتحاق بالقاعدة او غيرها. اذ انه يعاني من مرض السكري (الف)، أي انه يتناول الانسولين اكثر من مرة يوميا، اذ ان عدم حصوله على الجرعات يؤدي الى مضاعفات على صعيد أجهزة جسمه جميعا. ويعمل دفع كتاجر، وهو يستورد كل ما يحتاجه السوق، حيث يتولى تصريف ما يشتريه في مؤسسته التجارية الكائنة في مدينة جدة. وهو يستورد من تركيا الالبسة الشرعية التي ترتديها النساء في السعودية ودول الخليج. وله رفيق اسمه سلمان أحمد سلمان لا يعرف عنه انه ينتمي الى القاعدة او سواها. لكن كل سعودي متدين، وهو متدين ضمن الحد الادنى. خلال أحداث أفغانستان اقترح سلمان على دفع مقاتلة الاميركيين في أفغانستان مثله مثل الألوف ان لم يكن عشرات الألوف من المسلمين الذين فكروا بذلك، والذين يفكرون الآن بالقتال مع العراق، بغض النظر عن القاعدة او صدام حسين.. إيهاب رد على الطلب بسؤال أمه. وقد حدث ان ذهب سلمان الى أفغانستان عبر إيران ولم يدخل الى الاولى. وهو الآن في السعودية ولم يوقف او يحقق معه. اذا كان من القاعدة كيف تتركه المملكة ومخابراتها. علما انها لا تعتبر كل من تضامن مع أفغانستان من القاعدة.

يروي شحادة قصة لقاء سلمان مع دفع في تركيا ولقائهما في الفندق وفي صالونه تحديدا وكان معه ثلاثة شبان وكان الحديث عاديا ولا يثير أي شبهة. ثم تكررت لقاءاته مع سلطان وعبيدة باعتباره يجمع تبرعات لمصلحة الشيشان. واهتم به سلطان ليتبرع له، لكن دفع لم يأخذ او يعطي. تحدث مع سلطان بالعمليات التجارية واتفقا على تعريف دفع الى تاجر سيارات في ألمانيا وحدث بينهما اتصال. لكن دفع لم يتبرع للقاعدة بل تهرب، ولكنه عرف ان سلطان تاجر سيارات واتفقا على شراء سيارات من ألمانيا. سلطان له علاقة مع عبيدة وجماعة القاعدة وليس هناك ما يثبت علاقته بالقاعدة. كلمة القاعدة واردة في التحقيقات في الاسئلة ولم يقل أحد من الموقوفين نعم انا أنتمي الى تنظيم القاعدة. ومثل هذا الامر يصح على المهتدي. عندما تباحث دفع مع سلطان حول شراء السيارات من ألمانيا دعاه الاول الى معاينة معرض السيارات الذي يملكه في طرابلس. فإذا لم تتوفر فيه طلباته يمكنه بعدها التوجه الى ألمانيا. جاء ايهاب الى بيروت، وفي المطار تعرف على اسم فندق رويال بلازا، واتصل منه بسلطان، الذي كان مشغولا بخطبة ابنته، فتركه ايهاب مع أحد الاشخاص، الذي تحدث عن إنشاء تنظيم شبيه بتنظيم القاعدة فدعاه ايهاب الى التوقف، لان لا أميركا ولا السلطات اللبنانية ترضى بذلك. ثم أرسل هذا الشخص وراء شيخ اسمه ابو اسحاق الذي طلب من ايهاب توفير إمكانات له ليستزيد من العلم، فأخبره انه في أيام رمضان يعقد كبار رجال الدين في المملكة دورات دينية في المسجد النبوي، فإذا ذهب الى هناك بإمكانه حضورها، فسأله الشيخ توفير الامكانات له، فقال له تحدث مع سلطان، باعتباره واحدا من المتمولين..

لم ينتظر دفع انتهاء سلطان من مراسم الخطبة ومستتبعاتها، كما ان أحاديث الشخص لم ترق له، لذلك ترك طرابلس وجاء في سيارة تاكسي بعد ان اتفق مع سلطان على ان يتناولا طعام الغداء في اليوم الثاني. في الوقت ذاته غادر دفع الفندق الى الموفمبيك، وعندما وصل سلطان في اليوم التالي الى رويال بلازا تحادث مع دفع وتوجها الى مطعم الماكدونالد حيث ألقي القبض عليهما. لم يجدوا معهم لا أوراقا ولا منشورات، ثم وجهت لهما تهمة العمل على تأسيس قاعدة من خلال المطعم والنواة. والدفع لا يعرف عن هذه التهمة شيئا. كما ان قضية المدرب والخبير في المتفجرات وأعمال القتال لم تكن اكثر من سؤال عن شيخ، كما ان الحديث لم يتجاوز النادي المرخص لا خلية. لذلك لم يرد حديث الاسلحة والمتفجرات، علما انه قد يكون فهم من القتال الجيدو والكاراتيه كما في نوادي الرياضة. باختصار يقول شحادة: ان أبا محمود هو الذي تكلم في موضوع القاعدة والسلاح والنواة... وقد رد عليه دفع انك مجنون، وهو موضوع غير مسموح الحديث به لا في السعودية ولا لبنان. ثم هل يعقل أمام مثل هذا الموقف ان ينصحه بالعمل في بيروت على تأسيس النواة، علما ان الامن فيها ممسوك أكثر من طرابلس.

يختم شحادة: لقد رفض موكلي التبرع أكثر من مرة وتذرع بذرائع عدة، لو كان ملتزما القاعدة لتبرع لها مرات. لم ينكر انه يتبرع لفلسطين، للهلال والصليب الاحمر وللمجاعات في افريقيا..

لا ينتهي كلام شحادة أو مرافعته الجزئية.. لكن هناك نقطة ثانية تتضح من جردة الاسماء، لا سيما اسم خالد عمر الميناوي، اذ

يتبين من القرار الاتهامي الاول انه من مواليد العام ١٩٨٤ في طرابلس ووالدته فهدة ورقم سجله ٣٨٦، وقد ورد لقبه «طلحة» في أحداث الضنية وكذلك اسمه وألقي القبض عليه، لكنه أفرج عنه لصغر سنه، على ان يكون شاهدا في قضية الموقوفين، لكنه سافر الى تركيا عن طريق محمد الكعكي الذي أعطاه رقم هاتف المدعى عليه علي حاتم الملقب ابو بكر عقيدة في اسطنبول الذي استقبله في المطار يرافقه الفلسطيني حسين عبد الرحمن الملقب بأبي حمزة الفلسطيني ونقلاه الى منزل ابو الحارث التركي.. وقد ألقي القبض على الميناوي في أعقاب إلقاء القبض على سلطان ودفع.. يوم أحداث الضنية كان عمر الميناوي ١٥ سنة والآن عمره ١٨ سنة.

أما التهم التي وجهت له مع الآخرين من وراء إنشاء الخلية في الشبكة التابعة للقاعدة، فهي كما جاءت في القرار الاتهامي:

- تحضير وتدريب الشباب كي يكونوا نواة للقاعدة.
- إحضار مدرب متخصص في هذا المجال من الخارج.
- افتتاح مطعم في طرابلس لإحضار عناصر فارين من تنظيم القاعدة من بلادهم الى لبنان وإيوائهم في المطعم بصفة عمال أجانب فيه.
- جمع الشباب المسلم والمال.
- الاستعداد للعمل الجهادي.

هذه هي أهداف الخلية كما حددها القرار الاتهامي الاول، وهي بالتأكيد اكبر من عمر الميناوي وأشد خطورة.. لكن هذا لا يعني ان لا وجود لنواة القاعدة بين بعض أسماء قادة أحداث الضنية.. الا ان هذا الامر لم يثبت حتى تاريخه، علما ان إفادة مخبر واحد او تقديراته غير كافية لتشكل دليلا قاطعا.

ويبقى القول انه رغم كل الضجيج الذي اتخذته هذه القضية لا يزيد عدد المتهمين فيها عن عشرين شخصا، سيمثل أقل من نصفهم أمام القضاء العسكري لقول الكلمة الفصل في التهم المرفوعة بحق المتهمين، باعتبار ان الاخباريات لا تصمد طويلا عندما تنعقد الجلسات وتفند الادلة.

وختاما، بات واضحا هوية الشخص الثالث الذي ألقي عليه القبض في محلة الروشة مع سلطان ودفع وهو الذي يرد لقبه مرة واحدة في الصفحة الثالثة من التقرير الاول، ثم يغيب عن صفحات التقريرين.

ابن تيمية: حياة عاصفة

يعتبر تقي الدين ابو العباس.. ابن تيمية المولود في حران القريبة من دمشق عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م والمتوفى في دمشق في العام ٧٢٨ هـ/١٣٢٨م، هو المرجع الاصلي الذي تعود إليه اكثر، ان لم نقل جميع الحركات السنية الاصولية. وأبرز من تأثر به هو محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية.

هرب والده من حران عندما تقدم التتار نحو بغداد واحتلوها في العام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وأقام في دمشق. وكان والده احد العلماء، وفيها عكف تقي الدين على التتلمذ على علمائها ومن بينهم والده، وبرع في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وغيرها. وقد تولى تدريس الفقه الحنبلي بعد وفاة والده.

كان العصر الذي نشأ فيه ابن تيمية مثالا للاضطراب السياسي، فقد كانت الحروب الصليبية في طورها الرابع، وهو الطور الذي تتحدد سمته بتراجع الدور الفرنجي وتنامي القوة الاسلامية المملوكية بدءا بالظاهر بيبرس مرورا بقلاوون وصولا الى الأشرف خليل. لكن هذا التحول لم يؤد الى تعزيز الخلافة العباسية التي ظلت اسمية. فيما كان الاضطراب السياسي والصراعات سائرة في كل من الجزيرة العربية واليمن وبلاد فارس والافغان، وكذلك في اقطار المغرب العربي. أما الوجود العربي ـ الاسلامي في الاندلس فقد ظل محصورا في غرناطة وعدد من القرى حولها. وجراء الحملات الصليبية وكيفية التعاطي معها، زادت حدة الخلافات المذهبية مع «الغلاة»، الذين اقدم بعضهم على مد يد العون لهذه الحملات وسواها. وقد وجه المماليك الحملات على هذه المجموعات في بلاد الشام، وكان ابن تيمية نفسه يحث على المشاركة وانضوى شخصيا في بعضها، لا سيما تلك التي استهدفت كسروان والجبل اللبناني.

تعرض ابن تيمية للحبس عدة مرات. فقد حبس اولا في مصر بعد ان اتهمه القضاة والاعيان بتأييد مذهب التجسيم. وظل في قلعة الجبل مدة عام ونصف العام، ثم حبس ثانية لمدة مماثلة لأسباب سياسية. لكن إخلاء سبيله لم يطل، اذ اعتقل في برج بالاسكندرية لمدة ثمانية أشهر. واثر عودته الى دمشق عام ٧١٨هـ/١٣١٨م قرر السلطان منعه من الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق، بعد ان اباح حلولا يرفضها فقهاء المذاهب الثلاثة. لكنه رفض الخضوع لهذا الأمر فأدخل الى سجن قلعة دمشق في العام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م وأفرج عنه بعد خمسة أشهر و١٨ يوما بأمر السلطان، لكن اعداءه ظفروا به ثانية في مسألة فتوى له حول قبور الانبياء والصالحين فأدخل مجددا الى سجن قلعة دمشق. وفيها اقبل على تفسير القرآن وكتابة مصنفاته العديدة. وهذا ما عرفه اعداؤه فجرد من اوراقه ما أصابه بصدمة شديدة ومرض لمدة عشرين يوما ثم توفي في ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م وشهدت دمشق جنازة لم تعرفها سابقا له.

رغم هذه الحياة العاصفة لابن تيمية فإن عدد مؤلفاته قد وصل الى خمسمئة كتاب بقي منها اكثر من ستين مؤلفا تتراوح بين الرسائل والكتب وهي تتضمن فتاواه وآراءه في شؤون كثيرة من العلوم والممارسات الدينية. (راجع: دائرة المعارف الاسلامية ـ الجزء الاول الصفحات ١٠٦ ـ ١١٦ ود. عمر فروخ: ابن تيمية المجتهد ـ دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت ـ عام ١٩٩١).

قصة «عصبة الأنصار» من تأسيس الشريدي حتى الانشقاقات عن «أبي محجن»

... والحديث عن مجموعة متهمة بالانتماء الى القاعدة، يفتح مباشرة على «عصبة الأنصار» في مخيم عين الحلوة. كما يفتح بالضرورة على طرابلس، ليس من زاوية ما عرف باسم «احداث الضنية»، بل من مدخل التيارات الاسلامية والمناخ الذي يفاقمها. من داخل تلك التيارات تخرج مجموعة من هنا وأخرى من هناك، تنفلت من كل عقال وقيد في محاولتها بناء نموذجها الجهادي، الذي يعلن القطع مع سواها، بل تكفيرهم وإهدار دمهم حتى.

بداية لا بد من التأكيد ان صيدا مثلها مثل طرابلس لا تقدم او لا تقوم بدور الحاضنة السياسية لا للعصبة ولا لسواها. ولصيدا ايقاعها السياسي الذي طالما عرفت به وميزها عن سواها. كما ان لها تجربتها المميزة التي لا تسمح بنمو ما يفيض عن قدراتها على الاحتمال. كانت المدينة في ما مضى، اي قبل الحرب الاهلية منقسمة صراعيا بين الشهيد معروف سعد ونزيه البزري. يتجلى ذلك في التنافس البلدي كما في الصراع على المقعد النيابي المنفرد. ثم اندلعت الحرب، من فوهة تلك الطلقات التي استهدفت سعد تحديدا. عبر الاندماج مع العامل الفلسطيني خاضت صيدا المواجهة. غلّبت في حينه العام على الخاص. ثم حدث الغزو الاسرائيلي، وعندها لم يعد احد بمنجاة او منأى عن تلك العاصفة التي تجاوزتها. هبت المدينة بكل من وما فيها من قوى وتيارات تستقوي على آلة الحرب الصهيونية: ناصريون، شيوعيون، اسلاميون، مستقلون ومواطنون عاديون. وكان ان انتصرت بعد صراع دموي وثمن فادح. لكن الجميع، جميع ابناء صيدا ساهم كل بقسطه في هزيمة واجلاء الاحتلال. لم يستطع احد ان ينسب الانتصار له وحده، كما ان احدا لم يزعم ان قوته هي التي قاتلت بالسلاح وناضلت بالسياسة من دون الآخرين، كل كان له حجمه ودوره تبعا لمواقعه وتراثه.

لكن ما يشهده عين الحلوة وما تعرفه صيدا، هو واحد من اثمان تلك المرحلة بالتأكيد. انكفأت صيدا عن دورها وتطيفت المقاومة كل ما تم الدخول الى عمق الجنوب حيث تراجع الاحتلال، واندلعت احداث شرقي صيدا وهلمّ جرا دخلت صيدا في قلب المعادلة السياسية الرئاسية من دور وموقع ووزن الرئيس رفيق الحريري، وهو الذي ينتمي اليها. حافظت التيارات الناصرية والشيوعية والاسلامية على حضورها. لكن وهج المدينة كان يذبل تباعاً بالقياس الى الثقل المفترض ان تلعبه كعاصمة للجنوب ومفصله المكين باتجاه العاصمة. انكفأت قواها على ذاتها. لكنها لم تتراجع حتى حدود ما قبل مرحلة السلم الأهلي البارد، عندما كان لكل قوة من قواها منطقه ومنطقته. اندرجت في الاطار العام ولم تخرج عليه. وأخذت كل منها تتدبر أمورها على قاعدة أوزان حاصلة ولكن متباينة. التيار الناصري بزعامة النائب الراحل مصطفى معروف سعد حافظ على قواه. تيار الرئيس الحريري الذي تقوده في صيدا شقيقته النائب بهية الحريري بات له حضوره وقواه ايضا. تيار البزري حافظ على وجود ما وسط العائلات الصيداوية، دون ان يستطيع الدخول في الثنائية التي باتت محصورة بين التيارين الاولين. خصوصا بعد ان باتت المدينة في خضم معادلات واسعة تفيض عن الاحاطة بها، اذ كيف تجمع مدينة السنة في صيدا بين دروز حاصبيا وارثوذكس مرجعيون وكاثوليك جزين.. والأهم شيعة الجنوب الذين انتقلت زعامتهم سياسيا للرئيس نبيه بري، وقتاليا الى السيد حسن نصر الله «وحزب الله».. التيار الاسلامي الذي يملك عراقة في المدينة، هو الآخر ظل حاضرا. مثله مثل الشيوعيين تقريبا يتراوح بين مد وجزر. مد وجزر يأتيانه من خارجه، لكنهما باقيان وجاهزان متى انقلبت المعادلات التي تحرس التوازن القائم وتسهر على استمراره: في المحيط الجنوبي. في المدى اللبناني وفي المحيط الاقليمي.

لكن صيدا ليست عين الحلوة بأي حال من الاحوال. ما يسري عليها لا يسري عليه. اذ له ايقاعه الخاص. علما ان هذا لا يمنع من قيام مجموعة سلفية هنا وأخرى هناك تتغذى من شرايين انهيارات اوسع. والآن لنرو قصة «عصبة الأنصار».

****

عصبة الأنصار

المؤكد أن مخيم عين الحلوة لم يعرف قبل العام ١٩٨٢ تيارات اسلامية كتلك المتداولة سيرتها الآن. كانت هناك مجموعة من الاخوان المسلمين ارتبطت بعلاقة ما مع الجماعة الاسلامية في صيدا. علاقة طبيعية بين تنظيمين لهما الرؤية ذاتها. لكن الاولى كانت متواضعة

بالقياس الى الثانية في صيدا. يقال ايضا، كما تؤكد ذلك مصادر صيداوية انه وجدت في المخيم مجموعة تابعة لحزب التحرير الاسلامي، لكنها في معظمها كانت تتكون من رجال متقدمين في العمر. اي انه لم يكن لها حضور «ميليشياوي» او مقاتل، كسواها من المنظمات الفلسطينية.

التحول سيحدث بدءا من حدث الاجتياح الاسرائيلي للجنوب وحتى العاصمة. وانطلاقا من شخصية محورية هي الشيخ هشام الشريدي او ابو عبد الله. ولقب الشيخ الذي اطلق على هشام الشريدي حدث في مرحلة لاحقة. يقول أحد عناصر العصبة السابقين ان هشام خضع لدورة عسكرية في العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في منطقة النجارية ـ الزهراني. بدايته لم تكن لها علاقة بالتدين، ولم يكن قارئا. اقصى ما قرأه هو كتاب الزير سالم وغيره من كتب تراثية، وكان معجبا بأم كلثوم. بعد مرحلة التجنيد هذه بدأ يتعرف على افكار حسن البنا من امام مسجد يدعى الشيخ حسن زغموط وتعلم منه الصلاة. قد يكون الشيخ المذكور من مجموعة الاخوان او سواها. وهذه لم تبد كظاهرة في حياة المخيم. خلال الاجتياح تم اعتقال هشام الشريدي بعد ان قاتل مع إحدى المجموعات في عين الحلوة. كانت المجموعة التي قاتل بها الشريدي تنتسب الى حركة فتح، وكان ضمنها عدد من قادة العصبة اليوم، لا سيما ابو محجن. قسم اعتقل وأفلت آخرون. خلال اعتقاله في مخيم انصار الذي استمر حوال ثمانية أشهر تبلورت لديه فكرة تأسيس العصبة. وفور خروجه بادر الى تشكيل مجموعة صغيرة لمقاتلة الجيش الإسرائيلي ومكافحة جواسيسهم.

يؤكد العنصر المذكور أن تعليم الشريدي لا يتجاوز الصف الثاني التكميلي، لكنه تحول الى قارئ فيما بعد، دون ان يتمكن من الثقافة الدينية ولا سيما الفقه. والمعروف عنه انه كان متسرعا ملتزما حديثا للرسول يقول فيه: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا اضعف الايمان». كان يبدأ وينتهي بمحاولة التغيير باليد، او الأعنف وشن حملة على المفطرين في رمضان وهذا ما لم تعرفه اجواء المخيم وسط رايات التنظيمات والمنظمات العلمانية الفلسطينية. في غضون تلك المرحلة حدثت حرب شرق صيدا وشارك فيها وكان يحصل على تسليحه من حركة فتح. لكنه سرعان ما اختلف معها قبل اندلاع المواجهة مع حركة أمل. سبب الخلاف كان مرده مقتل شخص من آل الخطيب وكان المتهم من جماعة الشريدي فاعتقله امين كايد مسؤول فتح حينها، لكن الشريدي اطلقه وأمن له الحماية، مما ادى الى انفتاح الصراع على مداه بين مجموعة الشريدي وفتح، وهو الصراع الذي انتهى تقريبا في العام ١٩٩١ بمصرع الشريدي وكايد و...

الرواية التي يقدمها عضو العصبة السابق مليئة بالاسماء والوقائع والتفصيلات وتتداخل فيها مستويات القوى وتداخلاتها: فتح، العصبة، جمعية المشاريع، المجلس الثوري والعديد من الأجهزة التي تدخل في خط الصراع. المحصلة كما تقول المعلومات هنا ان مجموعة الانصار هذه خلال حياة الشريدي، المؤسس، لم تكن تملك رؤية فقهية لعملها، واعتمدت على «منظر» لها هو اسامة الشهابي وعماد ياسين. وكانت الفتاوى التي تصدرها تعتمد على قراءتها المخصوصة للوضع السياسي، وعلى مظهرية فاقعة، حتى ان الشيخ هشام مثلا كان يتوجه الى المسجد محاطا بأنصاره ويخطب الجمعة مدججاً بسلاحه الكامل، حيث يطلق التهديدات كما يحلو له بحق الفصائل الفلسطينية. وهو أمر لا بد وانه حدث مترافقا مع توافد مجموعات من حركة التوحيد الطرابلسية الى المخيم هرباً من ملاحقتها، حيث احتضنتهم فتح بداية قبل ان يتحولوا عنها نحو العصبة.

الأمير ابو محجن

كانت المهام الاولى التي تولاها ابو محجن بعد مقتل الشريدي المؤسس هي ملاحقة المتهمين بمقتل «أميره»، بدءاً من امين كايد وحتى اصغر عنصر. وابو محجن يدعى عبد الكريم السعدي، وهو من مواليد العام ١٩٦٣ في المخيم. وهو بالأصل من بلدة طيطبا ـ قضاء صفد في فلسطين المحتلة. وقد حصل على تعليم متوسط في مدارس المخيم التابعة للاونروا لا اكثر ولا أقل. ولأنه كان من المقربين الى الشريدي وذراعه اليمين، فقد آلت اليه زعامة العصبة. علما انه تنقل قبلا بين الجبهة الشعبية وفتح حتى استقر في العصبة.. حيث كانت مجموعات مماثلة عديدة على ايقاع التفاعلات التي تركتها الحرب التي فتحتها حركة امل على المخيم. وهي تفاعلات اقل ما توصف به انها غذت العصبية السنية في المخيم ومحيطه وأبرزت دور المشايخ، ومعها أخذت تتأسس الجماعات، من خلال شبكة من المساجد على شكل مصلّى صغير لهذه العائلة وذلك الحي.

سار ابو محجن على خطى سلفه في التشدد الديني وأخذ يمارس دور «المطوّعين» ازاء كل من يشرب الخمر او يقص شعره على الطريقة السائرة. لكن العصبة سرعان ما تعدت حي الصفصاف في المخيم وأزقته، وبدأت تشتهر على الصعيد اللبناني. وهنا تكر لائحة من الاتهامات تبدأ من اعتبارها المسؤولة عن اغتيال رئيس جمعية المشاريع الشيخ نزار الحلبي، واغتيال القضاة الاربعة والمشاركة في احداث منطقة الضنية في الشمال، ناهيك بتفجير المحال التي تبيع المشروبات الروحية و... والحاقا للاتهامات صدرت احكام اعدام بحق ابي محجن، كما نفذت عمليات اعدام بحق الثلاثة الذين أُدينوا بمقتل الحلبي...

انصار ابي محجن يذكرون انه الآن «في اراضي الله الواسعة وسيعود كما عاد النبي محمد الى مكة فيفتتح الشرق الاوسط كله ولا سيما لبنان وفلسطين». بالطبع من ضمن سلسلة الاتهامات التي توجه نحو العصبة محاولات اغتيال بلغت حدود طرابلس وتلقي تدريبات في السودان وعلى يد ضباط سودانيين في بيروت. والمؤكد ان العديد من اعضاء العصبة سبق وقاتل في افغانستان.

قبل ان نتناول المآل الذي صارت اليه العصبة على صعيد انشقاقاتها وتحديد قوة «تيارها»، لا بد من المرور على ابرز فتاويها. فالمعروف عن العصبة انها تكفر كل الانظمة العربية والاسلامية دون استثناء. وهي بذلك متأثرة بمجموعة منوعة من الافكار. التي اطلقها تنظيم التكفير والهجرة المصري وحزب التحرير وبعض الجماعات الاسلامية الجزائرية. الان التكفير لا يقتصر على الانظمة، اذ يتعداه الى المجموعات التي لا تأتلف نظرتها الى الاوضاع مع العصبة. وعلى هذا الاساس فالشيخ نزار الحلبي «قد قُتل لأنه كافر ونال جزاءه ومن قتله فقد نفّذ شرع الله فيه». اذن تبدأ افكار العصبة من الانظمة وتمر على الحكومات كونها لا تحكم بشريعة الله وتستبدلها بقوانين وضعية ومفاهيم مدنية مثل الديموقراطية والبرلمانية والاشتراكية. وهي قائمة على استحلال الحرام وتحريم الحلال، وكلها تستهزئ بالشريعة وتناقضها... وتتسع هذه الفتاوى التكفيرية كي تصل الى الجماعات والتيارات والأفراد. على ان العصبة استثنت من تكفيرها هذا حركة طالبان وحكومتها الراحلة في افغانستان، باعتبارها حركة اسلامية جهادية، قبل التوقف عند رؤية العصبة لبن لادن، لا بد من الاشارة الى موقفها من ايران، الذي تراه «نموذجا جمهوريا بعيدا عن الدولة الاسلامية الحقيقية» اضافة الى خلافها العقيدي مع الشيعة

وباعتبارها تحمل افكار «اهل السنة والجماعة استناداً الى كتاب الله وسنة الرسول».

علاقات وانشقاقات

منذ ان بدأت تروج أحاديث العلاقات بين «عصبة الانصار» والشيخ اسامة بن لادن، واكبها حديث عن علاقة الاولى بالقاعدة، وبما يتجاوز شخص بن لادن. بالطبع هناك احاديث عن التمويل ايضا. المعروف ان العصبة نفت مرارا او تكرارا اي علاقة لها مع بن لادن والقاعدة. لكن هذا لا يعني انها تقف منه موقفا سلبيا، بل على العكس من ذلك اذ تراه «مسلما ومجاهدا مخلصا يعمل في سبيل الله ويحمل فكرا وعقيدة تدفعه الى السير على المنهاج النبوي وما خطه السلف الصالح». اي انها تلتقي معه نظريا، وهو امر يتأكد من خلال بنيتها التنظيمية. فالمؤكد ان العصبة تصنف نفسها احدى التشكيلات الجهادية للحركة الاسلامية. وهي بهذا المعنى تحاول «استنساخ» تجربة الافغان العرب من خلال هيكليتها التنظيمية التي يقف على رأسها الامير وهو ابو محجن المتواري عن الانظار، والتي يقول امير سر فصائل منظمة التحرير في الجنوب ومسؤول فتح في عين الحلوة العقيد خالد عارف عنها ان «العصبة لا يتجاوز نشاطها حدود المخيم مع بعض الامتدادات الفردية التي لا تتجاوز الاراضي اللبنانية».

الامير لا يلعب دورا داخليا ـ تنظيميا، بل دوره الاساسي إرشادي، لذلك يتمتع بلقب الامير المرشد. بعده يأتي الامير الوزير وفي العصبة يمثل الرجل الثاني ابو عبيدة. بعدهما هناك مجموعة من المشايخ الذين لبعضهم تجربة انتماء في مجموعات اسلامية او غيرها. ويحمل كل منهم لقب الامير، ثم يأتي اعضاء مجلس الشورى والمستشارين.

اما بشأن التمويل فتتردد معلومات على لسان بعض المقربين من العصبة ان كل تمويل العصبة كان يرد من بن لادن، لذلك فإن ابا محجن والمقربين منه كأبي عبيدة وأبي طارق (شقيقه) سبق لهم وبايعوه «في المكره والمنشط». وكانت مساعداته المالية تأتيهم عبر وسائط عدة بعضها مباشرة وبعض الآخر بواسطة مصارف لبنانية.. الا ان هؤلاء يضيفون ان هذا التمويل لم يقتصر على هذا الجانب. بل ان اموالا كانت تردهم من الجاليات الفلسطينية من خلال زكاة الاموال، وهذه الأخيرة يعترفون بها فقط. لكن يبدو ان التمويل من بن لادن قد توقف بدليل الحال المادية البائسة التي اصابتهم منذ الهجوم الاميركي على افغانستان، واضطرار العديد منهم الى مزاولة مهن واعمال بسيطة ضمن انشطة المخيم كبيع الاسماك والخضار وغيرها.

على اي حال شهدت العصبة عدة انشقاقات منذ رحيل الشيخ الشريدي. كان الانشقاق الاول عن ابي محجن قد قاده عماد ياسين، وقد اعتبر ياسين انهم انحرفوا عن خط المؤسس. حدث هذا في اعقاب اغتيال الحلبي. وقد اعتبر عماد نفسه احق بالامارة. وتقول معلومات من داخل العصبة انه على اثر انشقاق ياسين اتخذ ابو محجن وابو عبيدة قراراً بوقف التصفيات. لكن هذا لم يقنع عماد بالعودة فانفصل وأسس مجموعة خاصة به. اسامة الشهابي اعتكف وخرج من الموضوع برمته، لا سيما بعد مصرع شقيقه الذي اتهم بعملية سلب لبنك في الدامور.

عبد الله الشريدي وهو نجل الشيخ هشام اعتبر نفسه الاحق بتركة ابيه، الا ان ابا عبيدة وابا طارق افهماه انه لا يستطيع ان يحمل على منكبيه عبء المهمة لا سيما وان عمره لم يتعدّ في حينه العشرين عاما، ثم انه لا يملك ثقافة دينية تؤهله للمهمة، الا ان هذا لم يقنعه فأعلن ولادة عصبة النور قبل عام. وكانت آخر مآثر عبد الله الشريدي حماية بديع حمادة في محاولة للبروز. لكن ذلك أثار فتح التي اعلنت الاستنفار العام سياسيا وامنيا مما دفع الى ايجاد مخرج بتسليمه للشيخ ماهر حمود باعتباره مرجعية دينية.

يقال ان هناك مجموعة رابعة تختلف الامور بشأنها، وتنسب قيادتها الى هذا او ذاك من قياديي العصبة السابقين. وما دام الحديث هنا بدأ حول علاقة العصبة بن لادن. نشير استطراداً الى ان كل مجموعة تختلف عن سواها في درجة التزامه، فإذا كان البعض يعتبره «مسلماً مخلصاً» الا ان الاغلب يعتبرونه «اميرهم يلتزمون رأيه وهو المرجعية الفقهية والجهادية التي لا مثيل لها بتاتاً».

أميركا أميركا

العلاقات التي تناولناها والانشقاقات التي طرأت على العصبة لا تغني عن القول، ان لهذا التنظيم علاقات اكثر تشابكا وتعقيدا مما يبدو. ويمكن قراءة هذه بسهولة على ضوء ليس المعلومات فقط، بل بالسياسة ايضا. وهي هنا تتعدى بعض الأجهزة اللبنانية. وبهدف محدد هو ابقاء ورقة المخيمات، لا سيما عين الحلوة «قابلة للتداول» ولعل هذا يفسر عدم إقدام الدولة اللبنانية على اتخاذ قرارها بتسلّم سلاح المخيم اولاً، وعدم الدخول إليه للقبض على ابي محجن، باعتباره المطلوب الاول للدولة اللبنانية ثانيا. اذن رغم أن الدولة صاحبة مصلحة في إنهاء العصبة باعتبارها المتضررة منها، الا ان المتابعين لهذا الموضوع يدركون ان العصبة هي عنوان لنشاط استخباراتي متداخل الأهداف، لم يحن بعد أوان تثميره.

لكن العصبة لا تبدو بمثابة العدو الاول للدولة اللبنانية، بل انها من الأعداء البارزين للولايات المتحدة الاميركية وبعد صدام حسين بطبيعة الحال، رغم خفوت الحديث الأميركي عن القاعدة وتصاعده في الحديث عن تشكيلاتها الملحقة، ومن بينها العصبة. تدرج الموقف الاميركي ازاء هذه الجماعة من ورود اسمها على لوائح الارهاب الصادرة عن الولايات المتحدة الاميركية التي تولى الرئيس الاميركي جورج بوش اذاعتها في حينه. ثم كانت النقلة او التبرير لوضعها في تلك اللائحة ليس «مآثرها» اللبنانية، بل كونها مجرد امتداد لتنظيم القاعدة الذي تزعمه بن لادن، ولضلوعها في اعمال عنف منذ العام ١٩٩٥ وذروتها علاقتها الثابتة بأحداث الضنية. علما ان العصبة طوال تاريخها لم تستهدف مصالح اميركية او غربية في لبنان. اذ ان كل ما تتهم به لا يعدو عن اهداف يغلب عليها الطابع الفلسطيني ـ الفلسطيني اولا، واللبناني ثانيا، بما يدخل في اطار التأزيم او مضاعفة الاجواء المتوترة سياسياً بالأمني والطائفي. من هنا يمكن القول إن هناك من يستخدم العصبة او يستخدم اسمها على الاقل للايحاء بأنها وراء كل ما من شأنه هز الوضع في البلاد.

المهم أن التدرج الأخطر في النظر الاميركي الى العصبة يتمثل في ما أعلنته «الواشنطن بوست» في ١٣ كانون الاول من العام الماضي عندما ذكرت ان هذه العصبة قد حصلت على غاز للأعصاب «في أكس» من العراق عبر تركيا. وقالت الصحيفة إن العصبة

ترتبط بالقاعدة وقد تلقت أموالاً منها، وذكرت ان المسؤولين الأميركيين لا يعرفون اذا كان سعيها للحصول على اسلحة كيميائية هو لمصلحة القاعدة او لحسابها الخاص. ولاحظت اخيراً «انه اذا صحت هذه المعلومات فستكون هذه المرة هي الاولى التي يعرف فيها حيازة القاعدة او اي من وحداتها سلاحاً غير تقليدي باستثناء السيانيد».

اذن باتت المسألة أكبر مما كانت عليه سابقا، اي الضلوع في اعمال عنف، الى الدخول في تقاطع اكثر خطورة من ذي قبل، الامر الذي يستوجب اجراءات مستأخرة بعض الشيء لغايات في نفس يعقوب. علما ان الوزير الياس المر وصفها بأنها «منظمة ارهابية». وهذا لا بد وان يعطف على اعتبار قائدها ابي محجن «الرأس المدبر للعمليات الارهابية، وتمكن من شحن عشرات الشبان فكريا وتهيئتهم نفسيا لاقامة دولة إسلامية ينصب عليها اميرا للمؤمنين وينشىء فيها مجلسا للشورى يتولى ادارة شؤون المسلمين». كما جاء في المطالعات القضائية.

عودة إلى المخيم

رغم التضخيم الاميركي لدور العصبة، فإن التقديرات بشأنها قوة عددية تتباين. تتراوح الارقام المتداولة بين ٨٠ ـ ٣٠٠ عنصر في أقصى الاحتمالات، بمن فيهم كل من التحق بهم سواء كان من اصول حركة التوحيد او من فروع احداث الضنية. او اولئك الذين وردت اسماؤهم في التحقيقات والتقارير الامنية ولجأوا اليها وأقاموا في حي الصفصاف او في حي الطوارئ والشارع التحتاني. اذن هناك قسم كبير من هؤلاء مطلوب وعليه احكام تتراوح بين إعدام ومؤبد و... سنوات حبس تبعا للجرائم التي ارتكبوها: امنية او عادية. ولا شك ان عناصر من هذا النوع مستعدون للقتال حتى الرمق الأخير، ما دام الخيار الآخر ليس سوى الموت البطيء. هذا جانب، ثم ان جانب الفكر الاستشهادي له دوره بالتأكيد في التعبئة.

ولا شك في ان العصبة تعطى اكبر من حجمها وقدراتها. وهذا بالضبط له علاقة بالتوظيف المطلوب، الذي يستهدف تكريس ان المخيم هو منطقة خارجة عن القانون، مجرد بؤرة لمحكومين ومدانين ومتهمين. اما ما عداها من قوى فلا وجود لها. علما ان هذه القوى هي الاكثر تمثيلا ووزنا على صعيد المخيم وأهله. تبدأ هذه من فتح والمنظمات المنضوية في اطار منظمة التحرير وتتعداها الى التيارات الاسلامية المعروفة والقوتين لا تذكران الا لماما فيما عصبة الانصار صبح مساء على كل محطة واذاعة وصحيفة. ثم هناك القوى الفلسطينية الخارجة عن م.ت.ف. ولا علاقة لها بانشطة كتلك التي تمارسها العصبة. ولا تثير الاهتمام الاميركي الا في المناسبات.

ما هي التنظيمات الاسلامية في المخيم اذن؟

يؤكد الشيخ ماهر حمود بداية «ان لا وجود لجماعة النور التي اصدرت بعض البيانات ضده. وهي بيانات أصدرت بعضها او اكثرها جهة ليست اسلامية. واذا كانت هذه الافكار المطروحة تتوافق مع افكار اسلاميين فهم قلة لا يُقاس على وجودهم». ويضيف: دوماً وبشكل آلي كانت توجه الاتهامات الى عصبة الانصار. والعصبة اليوم لا تتصرف بردات فعل متشنجة وتفهم حجمها وحجم الوجود الاسلامي في المخيم وفي صيدا ولبنان. ما اعنيه ان هناك عقلانية بالمقارنة مع ما ينسب اليها في وسائل الاعلام منذ اغتيال الشيخ الحلبي، اذ انها اليوم تدحض هذه التهم وتؤسس لنظرة عقلانية. اما وجود افراد ينكرون علينا وعلى غيرنا اي تصرف عقلاني يستند الى فقه سليم فهؤلاء لا يشكلون علامة بارزة للاسلاميين في المخيم او في صيدا. اضافة الى اننا نتلقى اتصالات شفهية وغير شفهية تعترف بصحة اجتهادنا ويتراجع كثير من المتهمين عن اتهاماتهم.

اما الدكتور علي الشيخ عمار نائب الامين العام للجماعة الاسلامية فيرى ان القوى الاسلامية في المخيم تشكلت على قاعدة الاستقلال عما هو متعارف عليه في إطار م.ت.ف. او تحالف القوى الفلسطينية. وتشكل بعض هذه القوى في اطار عصبة الانصار او الحركة لاسلامية المجاهدة او جماعة النور. هؤلاء هم شباب مسلم متدين كانت له مشاركته في مقاومة الاحتلال داخل وخارج المخيمات. وقد حاول هؤلاء الحفاظ على استقلاليتهم مما قاد الى خلافهم مع فتح وم.ت.ف. ولا شك في ان الظروف في المخيمات متاحة لمثل هؤلاء في الاستمرار والقيام بدورهم، خصوصاً في مخيم كعين الحلوة تتواجد فيه كل القوى من فصائل المنظمة الى سواها، ولدى الجميع الاسلحة كما هو معلوم.

يبدو من رأيي حمود وعمار ان هناك تطورات تشهدها العصبة. ولهذا السبب بالذات يشكك عمار بالاتهامات ويرى انها دون ادلة، «علما ان هذا لا يعني اننا مع التسيّب، والدليل اننا بالتوافق مع القوى الوطنية والاسلامية، في صيدا والمخيم نسعى الى الوصول الى مرجعية سياسية وامنية بالتنسيق مع السلطات اللبنانية. ويحظى هذا التوجه بموافقة القوى الوطنية والاسلامية». يشدد عمار ايضا على دلالة تسليم ابو عبيدة (بديع حمادة) وعلى دور للعصبة في العملية. وعليه فإنه يرى ان التهم التي توجه للقوى الاسلامية بأنها ضد التنسيق الامني غير صحيحة، فلا احد له مصلحة في التوتير الامني، وهذا ينطبق على كل القوى الاسلامية.

حمود يعتبر بدوره «ان الشيخ الشريدي قد استدرج الى مواجهة يومية مع فتح، نتيجة لتداخل الاسلامي مع المحلي مع الشخصي مع امور كثيرة وأدت في النهاية الى استشهاده المؤسف. من بعده كان الأخ ابو محجن الذي نرى انه نأى بالعصبة عن هذه التفاصيل وأكاد أنكر كل الاتهامات الموجهة اليه، واستند في ذلك الى بعض القضاة وبعض الامنيين الذين يؤكدون ان الاتهامات سياسية كما الاحكام وليست ثابتة كما يتردد».

إسلاميو المخيم

السؤال الذي يبدو ختاما لهذا البحث الذي استغرقه الحديث عن «عصبة الانصار» من هم الاسلاميون في المخيم؟ قبل الدخول في عملية الحصر التنظيمي نتوقف عند المجموعات الشمالية وتحديدا من حركة التوحيد ومجموعات الضنية. يقول الشيخ عمار: لا شيء اسمه حركة توحيد في صيدا، لا بارزة ولا مستترة. سابقا كان هناك شبان من الحركة. الآن لم يعد لديهم مشكلة، اذ هم موجودون في طرابلس علنا ولديهم اذاعة مرخصة ولا مشكلة لهم مع السلطات السياسية او الامنية. اما بالنسبة لاحداث الضنية ففي اعقاب الاعتقالات والسجون من دون محاكمات، صدرت اتهامات للبعض بأن لهم روابط مع المتورطين (علاقة ـ صداقة) وعلى ضوء التوقيفات خاف قسم ان يتم ايقافهم فخرجوا باتجاه مخيم عين الحلوة، هؤلاء عددهم قليل ولا يتجاوز الآحاد. اقاموا في المخيم وأرى

ان اقامتهم خطأ، لانهم متهمون واغلب الظن انهم ابرياء. خصوصا على ضوء تبرئة مجموعات من شباب الضنية او القرعون اذ لم تثبت لهم علاقة بما حدث. لو تمت محاكمة هؤلاء لأخلي سبيلهم، كما ان اكثر المسجونين كانوا قد خرجوا منه كما غيرهم. هؤلاء وبعد قضية ابي عبيدة تم الاتفاق بين فاعليات المخيم من قوى وطنية واسلامية ان يخرجوا من المخيم بشكل نهائي وهذا ما حصل. اذن لم يعد هناك من وجود لمتهمين في احداث الضنية.

بالعودة الى السؤال السابق يرى الشيخ حمود ان هناك حماس والجهاد. وكلتاهما تنأيان بنفسيهما عن اي دخول في التفاصيل اللبنانية او زواريب المخيم والحياة اليومية فيه، وتركزان كل طاقاتهما على البعد الجهادي في إطار دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني والعمل ضد الاحتلال. هناك ايضا حزب التحرير ووجوده رمزي، ومجموعات سلفية امتداد لما هو موجود في صيدا وطرابلس. اما مجلس رعاية الشؤون الدينية للفلسطينيين فيصب جل اهتمامه على دروس التعليم الديني والمحاضرات وامور من هذا النوع ويتولى مسؤوليته الشيخ جمال خطاب وهو خريج الجامعة الاميركية في بيروت، والجميع يعترف بمرجعيته، وقد نشأ في الحركة الاسلامية المجاهدة وهي حركة لم تعد الآن موجودة، ويعمل الآن في اطار المؤسسات التربوية التي سبق واقامتها.

وتفيد معلومات «السفير» ان خطاب يمثل التيار الاسلامي المعتدل في المخيم وله علاقات مع كل القوى السياسية دون استثناء وطنية او اسلامية. علما ان هناك من يذكر ان الحركة الاسلامية المجاهدة ما زالت قائمة ولم تندثر كما ذكر حمود. هناك ايضا جمعية المشاريع الاسلامية في المخيم وتحظى هذه بتواجد شعبي، ولهم علاقات سياسية مع م.ت.ف. ولديهم مسجد ويقدمون خدمات اجتماعية تبعاً لقدراتهم. جماعة الدعوة اقرب الى الفرق الصوفية منها الى القوى السياسية ووجودهم رمزي.

ومن المعلوم ان حركة حماس تجدرت من الجماعة الاسلامية، فيما باقي التيارات الاسلامية نمت في احضان فتح الى هذا الحد او ذاك. ومما يجدر ذكره ان لبعض هذه القوى امتدادات خارج المخيم. يبقى القول ان هناك مجموعة تدعى انصار الله. وقد بدأت بالتواجد في المخيم في الفترة التي اندلع القتال بين المخيم وحركة «أمل»، الا ان وقوف ايران ضد قيادة المنظمة كان عاملا في اضعافها، باعتبارها مجرد امتداد لحزب الله داخل المخيم، لكن الخط الايراني لم ينقطع بطبيعة الحال، اذ استمر عبر تنظيمات اخرى. علما ان المناخات السلفية المذهبية السنية تعوق مثل هذا التوجه.

كل ما ذكرناه من اسماء لا يمكن ان يختصر الصورة. اذ الواقع ان كل التنظيمات، ومنها ما هو غير معروف او مجرد حلقات صغيرة تعمل في المخيم، بالطبع هناك فتح كقوة اساسية وكذلك الجبهتان الشعبية والديموقراطية والانتفاضة والمجلس الثوري وجبهة التحرير والنضال والقيادة العامة و... اضيف الى كل هؤلاء الاحزاب والتيارات الاسلامية. حتى ان تنظيمات اسلامية نشأت لاعتبارات عائلية او قروية، عبرت عن نفسها من خلال هذا الشكل. وهكذا تتلبس الحالة التنظيمية الحالة الاجتماعية وتعبر عنها، دون ان تستطيع الخروج منها، كما كان يحدث خلال فوران المرحلة النضالية السابقة.

ابن تيمية: آراء ومواقف

شارك ابن تيمية في حملات المماليك ضد التتار، كما شارك في حملاتهم على من تصفهم المصادر بأنهم «غلاة الشيعة» في جبال كسروان والمقصود هنا الشيعة والدروز. ثم انصب جهده على مكافحة الصوفية، الذين يقولون بالاتحاد والحلول من اتباع محيي الدين بن عربي. ولعب دورا أساسيا في مكافحة البدع. وقد واجهه علماء الصوفية والشافعية والحنفية والحنبلية حتى. وقد حمل على اتباع اليهودية والمسيحية وسواهم من اصحاب العقائد. كما حمل على فلاسفة المسلمين، ولم ينج من هجومه الغزالي.

* يقسم ابن تيمية المسلمين الى فريقين كبيرين هما: اهل السنة والجماعة وهم على منهج السلف منذ ايام الرسول. أما الفريق الثاني فهم على حد ما جاء في مؤلفاته اهل الاهواء. وهم المتكلمون من المعتزلة خاصة كالباطنية والصوفية والمتفلسفة.

* من آرائه:

- ان الله في السماء ومنها ينزل الى سواها، وهو يوصف بما وصف به نفسه في القرآن والحديث.
- ان الاسلام هو المذهب العام لجميع الناس في جميع الميادين الحياتية، وعليه فإنه يقف موقفا متشددا من جميع المذاهب الاسلامية باستثناء اهل السنة.
- مصادر التشريع هي القرآن والاحاديث وأقوال الصحابة والفقهاء. والقرآن منزل غير مخلوق.
- يفهم ابن تيمية القرآن على ظاهره - يرفض التأويل - ويمكن اللجوء الى المعاني الباطنة اذا كانت فيها مصلحة عامة.
- ارادة الانسان غير مستقلة عن ارادة الله، وبالتالي فإن افعال الانسان مخلوقة.
- ان الكافر الاصلي (لم يدخل قبلا الاسلام) يجوز ان يعقد له امان وهدنة. وكذلك اذا كان كتابيا (يهوديا او نصرانيا).. أما الكافر المرتد (بعد ان كان مسلما) فهو اسوأ حالا في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره.. فهؤلاء يجب قتالهم بإجماع آراء المسلمين. كما ان الذين ارتدوا عن الاسلام وبقوا متمسكين في الظاهر بالانتساب إليه، فهؤلاء يجب قتالهم حتى يعودوا الى الالتزام بشرائع الاسلام.
- من لا يعتقد ان الصلاة والزكاة والصيام والحج غير واجبة فهو كافر.. ومن تكلم بالشهادتين ولم يؤدّ الفرائض ولم يجتنب المحارم فهو كافر مرتد.. ويقتل لكفره بعد ايمانه وإن لم يكن محاربا.
- أوجبت الشريعة قتال العرب الذين لم يستجيبوا للدعوة، لأنه لم يقبل من العرب الا الاسلام ولا تقبل منهم الجزية.. وكذلك اوجبت قتل الكفار، ولكن لم توجب قتل المقدور عليه منهم. وقتال الذين يعتدون على المسلمين واجب. فإذا بدأوا القتال يتأكد قتالهم وجهاد الكفار اذا كان احتياطا فهو فرض كفاية، اما اذا اراد العدو الهجوم على المسلمين فيصبح واجبا على المقصودين (بذلك الهجوم) قتالهم وعلى غير المقصودين ايضا. فهذا الجهاد هو قتال اضطرار، والجهاد احتياطا لمنع اعتداء قتال اختيار، للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو.

لماذا فاحت التيارات الإسلامية في عاصمة لبنان الثانية الفيحاء؟

كيف توصلت الحالة الإسلامية إلى القبض على «زمام الأمور» في طرابلس؟ هل في الأمر سر يصعب الإمساك به، وهل يكفي القول إن للاندفاعة الأصولية في هذه المدينة، العاصمة الثانية، جذورها العميقة، التي سرعان ما استعادتها مستفيدة من حال الفراغ، أم أن الأمور أشد تعقيدا أو أكثر وضوحاً من كل ذلك؟. هذه الأسئلة تفتح ملف المدينة ولا تقفله بطبيعة الحال.

ولندخل في التفاصيل. فالمؤكد أن هناك أسبابا متداخلة. لنضرب صفحاً عن الخارجي منها. وهي تتعلق بالأحادية الأميركية وما يدور في فلسطين واحتمالات وضع العراق على المقصلة قريباً، وما شهدته أفغانستان وما تعانيه الشيشيان و... لندع ذلك كله، ولندخل في صميم المحلي. وهو هنا يجمع بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

المسافة التي تفصل العاصمة الثانية عن العاصمة الأولى تتجاوز الكيلومترات التي تظهر على إعلانات الطريق الذي يربطها. وينتاب الطرابلسيين شعور بالغبن، شعور لا ينشأ مع حكومة أو حكومات الرئيس رفيق الحريري. ولا حتى مع هذا العهد. بل قبله بزمن طويل، حتى عندما كان الرئيس الراحل رشيد كرامي الأوفر حظاً لتشكيل الحكومات وترؤسها. كانت المدينة تملك مثل هذا الشعور، والمؤكد أن سنوات الحرب الأهلية قد فاقمت الوضع. عانت المدينة من عزلة كاملة. تقطعت بها السبل، وبدت كأنها في عالم آخر مختلف. ما يسري هنا لا علاقة له بما يدور هناك. حتى الهموم والأوضاع كانت مختلفة. لكل منها ايقاعه الخاص. أن يأتي رئيس للحكومة أو وزير أو أكثر من المدينة لا يغير المعادلة بتاتاً.

هناك ما تتكئ عليه روايات الطرابلسيين عندما نجد بيروت تحظى بفرصها كاملة وعلى مختلف الصعد، فيما طرابلس تفقدها واحدة اثر أخرى. ومعها تفتقد المقومات المرافقة تباعاً. الى الحد الذي تبدو فيه عارية من كل شيء. من الحضور السياسي والمشاريع والإنماء و..

أمام وضع من هذا النوع تدور الحركة السياسية في فراغ. الهموم السياسية العامة بمثابة امتياز لأسماء لها طموحها، والمحلي يرتقي الى الموقع الأول. لكنه المحلي الذي يتغذى من التحلل والموات حتى. كأن القوى الحية ماتت ودفنت ولا قدرة أو قرار لأحد على إحيائها أو إعادة استنبات زرعها. وحدها التشكيلات الإسلامية تنمو، وان كان نموها في مناخ الأزمة. أزمة عامة وأزمة مخصوصة. أزمة تضرب المنطقة مضروبة بالعجز الرسمي والأهلي. يستوي في ذلك الإسلاميون وغير الأسلاميين. وعليه يمكن أن تقرأ «الصحوة الإسلامية» بما هي دليل على المأزق وليست حلاً له، ما دامت تفتقد الى البرامج الفعلية لتعديل متلاحق في ميزان القوى، ورفض للأمر الواقع القاهر والقائم والمتربع سعيداً على مساحة المنطقة وما يتجاوزها أيضاً. لكن هذا الحكم له في كل موضع وموقع نكهته ورائحته الخاصة والمميزة. وطرابلس واحدة من المدن التي يشد إليها «الرحال» بحثاً عن المحلي والمختلف في إطار الائتلاف العام الذي يضبط ايقاع هذه الحركة، ويجعلها تحت سقف المراوحة لا تتعداه بتاتاً. علماً أن لمثل هذا الوضع انفجاراته الموضعية التي لا بد وأن يعبر بها عن نفسه. كأن هناك تفاعلات كامنة تحت سطح القشرة الخارجية الباردة، لا يعرف أحد متى تقذف بحممها ومعها الضحايا.. كما حدث في جرود الضنية قبل عامين وشهر واحد بالتمام والكمال. ولنبدأ بحكاية الحكاية:

****

رغم ما توصف به الحياة السياسية في العاصمة من تراجع، حتى حدود الغرق في المناكفات الأسبوعية بين مواقع السلطة الثلاثة، إلا أن ما يمكن أن يقال إن هناك دورة ما تظل تعمل وإن بوتيرة متراجعة. فقد شهدت بيروت مؤتمرين احدهما دولي هو الفرنكوفونية والثاني عربي هو مؤتمر القمة العربية، ثم ان هناك مجلس النواب، مجلس الوزراء والمراكز الرئيسية للأحزاب والنقابات ناهيك بالوزارات والنواب... وكل هذه تنتج نوعاً من الايقاع. في طرابلس تبدو الحياة السياسية منكفئة حتى حدودها

الدنيا. تقتصر على أمكنة محددة تتعنون فقط بمنازل النواب أو الوزراء، وغالباً في عطلة نهاية الأسبوع. النقابتان الباقيتان لطرابلس وهما هنا نقابتا الأطباء والمهندسين ذواتا حضور نقابي جزئي، باعتبار ان الجسم الأساسي للقطاع خارج الشمال.. الحركة النقابية العمالية الباقية منكفئة بفعل تراجع دور المدينة الاقتصادي.

عدا ذلك تبقى المساجد، إذ إن المنابر المنتشرة فيها تشهد بطبيعة الحال خطب الجمعة، وهذه تخضع لضوابط وتدقيقات فضلاً عن ذلك التنازع الذي تعرفه تبعاً لولاء هذا الخطيب لهذا الخط أو ذاك التنظيم. وهذه بطبيعة الحال لا تلبي الحاجات المفقودة مع تراجع دور الأحزاب السياسية، وهو الدور الذي كان يؤمن حضوراً ما وإن كان ثانوياً في المعادلة العامة.

خصائص التراجع

كل ما في طرابلس يعيش حالاً من التراجع. الاقتصاد أولاً. وهنا يندمج الصناعي بالتجاري. حتى انه يمكن القول إن كل الظروف تتفاعل لتقود الى مزيد من الضمور. حركة الاقتصاد كانت تعتمد على مرفأ المدينة. والمرفأ هذا كان مرفأ المدينة، كما هو مرفأ الشمال السوري والعراق. الشمال السوري بات له أكثر من مرفأ. والعراق عانى الحصار ويعاني احتمالات العدوان الآن. القطاع الثاني الذي كان يؤمن فرص عمل هو المصفاة، وهذه كما هو معلوم متوقفة وستظل على ما يبدو. المؤسسات الصناعية ضربتها حمى الصرف الكيفي التي طالت سواها، وفيما خفضت العديد منها عدد العاملين لديها، اقفلت أكثرها أبوابها وصرفت عمالها. المؤسسات التجارية التي يتم استحداثها، تنشأ بتضافر رؤوس أموال تتعدى المدينة. ويتم انتقاء العاملين تبعاً لهوية أعضاء مجلس الإدارة ـ المالكين ولا يصل الى أبناء المدينة سوى عدد محدود من الفرص التي تتوزع على المساهمين. أكثر من ذلك لم تعد المدينة مركز تموين للأقضية المحيطة بها. ثم بداية وخلال عهد الرئيس سليمان فرنجية شق شبكة من الطرقات خارج الخطوط التقليدية. وحدث نوع من الاكتفاء الذاتي، ضاعفه الوضع الامني العام وفي المدينة، مما أدى الى حصر العلاقات الباقية مع الضنية والمنية وعكار. الحروب الداخلية والعصبية التي عرفتها دفعت بالأقضية المسيحية الى الوصول الى المصدر مباشرة، دون المرور بالوسيط الطرابلسي، أو البحث عن سلعة مشابهة. هذا الوضع بتداخلاته أدى الى حال من البطالة المستشرية التي امتصتها الميليشيات خلال الحروب المتلاحقة، والاعمار لم يصل الى طرابلس إلا في المنطقة المشتركة بين القبة وجبل محسن والتي سويت بالأرض. هذه المنطقة التي بدأ العمل بها في العام ١٩٩٦ يتم الآن تسليم الشقق فيما الجزء الأكبر من دمار الحرب ما زال ماثلاً للعيان.

وطرابلس تتغير، لكن ليس إلى الأمام، أشرنا بداية الى الشعور بالحرمان الذي يلفها بكل فئاتها. السياسة الرسمية تصب الماء في طاحونة هذا الشعور. لا يتحدد الامر على صعيد المشاريع وتأهيل البنية التحتية، بل على مستوى عمليات التوظيف في الدوائر والمؤسسات الرسمية. يتهم أبناء المدينة العديد من المسؤولين باعتماد قواعد تقود الى حصة لا تتعدى «أذن الجمل» من حركة التوظيفات التي تتم. وهذا كله تحصد نتائجه المدينة بأحيائها التي تبدو أشد انقساماً مما كانت عليه على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسكاني حتى. ومعه يتضاءل الوجود الطرابلسي في الاحياء. الطرابلسيون ينزحون من أماكن سكنهم الأصلية الى أحياء مستحدثة، فيما يحل مكانهم قادمون من الداخل أو الخارج. طرابلس الإدارية لا تضم الآن أكثر من ٣٠ ـ ٤٠٪ من ابنائها. في القبة تتراجع النسبة الى ١٥ بالمئة تقريباً. الباقون إما من الضنية أو عائلات العسكريين، أو مجنسون جدد. التبانة أفضل حالاً، أي النسبة الطرابلسية هي ضعف القبة. أبو سمرا تصل نسبتها الى ٥٠ بالمئة... ابناء المدينة يغادرون نحو مناطق الملا، المعرض، الضم والفرز ومناطق المجمعات السكانية. تصبح نسبة أبناء طرابلس الى سواهم خمسين بالمئة اذا ما دخلت الميناء الى معادلة الوضع السكاني لأبناء المدينة. في هذا الحيز الذي يعاني الندرة يتفاعل الناس مع بعضهم بعضاً وبما تيسر من أفكار وطروحات طافية على السطح.

هذه اللوحة البانورامية لا تضيء على تفاصيل المشهد كما يتجلى على الأرض. المدينة لا تنقسم بين طرابلسي وغير طرابلسي، وان كان مثل هذا الشعور يبرز في بعض المفاصل. بين الطرابلسي الأصلي من أبناء عائلات المدينة بفئاتها المتعددة وبين القادم من الضنية او المنية أو عكار أو الكورة وزغرتا.. تنقسم المدينة بين أحياء قديمة وأخرى جديدة... بين أحياء فقيرة وأخرى مستحدثة لم تستنفد بعد مقومات حداثتها، خلافاً للأخرى التي تتآكل تباعاً، بفعل الضائقة الاقتصادية وتواصل الضغط السكاني الذي تتعرض له، ويجعل منها مجرد حزام بؤس في مدينة بائسة بالأساس.

باب وبيت الفقراء

منطقة باب التبانة تعتبر نموذجاً فاقعاً. لا يمكن الاحاطة بعالم طرابلس المترامي والمتداخل في كل المقاييس، الا من مدخل باب التبانة، التي كانت واحدة من مناطق الازدهار لعاصمة الشمال. كانوا يطلقون عليها: باب الذهب أو باب الرزق أو باب الخير... وللتسميات الثلاث ما يبررها، من خلال الثروات التي تهاطلت عليها، بعد أن لعبت دور سوق الجملة للمدينة وامتدادها اللبناني والسوري حتى. انتعشت المنطقة هذه بفعل أسواق القمح والخضار واللحوم... ونشأت في شارعها الرئيسي المصارف و.. لكن هذه المنطقة لم تحافظ على الموقع الذي كانت عليه. خسارة دورها كان بفعل تداخل السياسي والاقتصادي. أحد تقارير الوكالة الدولية للتنمية التابعة للأمم المتحدة الذي تناولها يسطر هذه العبارة عنها: «انها أسوأ حزام بؤس في لبنان والمنطقة العربية». إذن لا مجال للمقارنة بينها مع سواها في لبنان أو المنطقة العربية، بما فيها مدينة غزة الفلسطينية ومحلة القرافة المصرية في القاهرة و... كانت هذه المنطقة تتراجع تباعاً، ويخلي متمولوها أماكنهم السكنية فيها الى سواها. وكانت مقصد النازحين من كل حدب وصوب. فقط حافظت على بعض معالم تجارتها، لكن أوضاعها تدهورت بفعل الزحف باتجاهها طمعاً بالتواجد في قلب سوق العمل أو على ضفافه، فكان ان توسعت وازدادت تراجعاً على كل الصعد: الصحية، التعليمية، الخدمات و... باتت تشرب مياهاً ملوثة كل صيف فتندلع الاصابات بين المقيمين كباراً وصغاراً.

كل ما في المنطقة متداخل، الى درجة يصعب معها التمييز. لا وجود لشارع متخصص، الكل في الكل: بائع السمك مع المكتبة، بائع الفراريج مع بائع الأشرطة الدينية، محلات السمانة مع محلات بويا وحدادة السيارات، محل الخضار مع ورش النجارة و... وفوق هذه جميعاً مساكن لمنازل. في الشارع «كل ما هب ودب» من بقايا النظافة في عالم آخر، وملاجئ الأبنية ملأى بالمياه المبتذلة.. وأبنية مهددة بالانهيار. وأناس يعبرون عن رفضهم هذا المصير بأشكال متعددة، لا سيما انه ليس أمامهم سوى هذه المهن التي يرونها صباح مساء بأم العين، باعتبار أن المراحل التعليمية تقود الى المشاغل والورش والمهن الهامشية.

دوماً كانت باب التبانة مصدراً للفقر والفقراء ومحل إقامة لهم وقبراً أبدياً لأجسادهم. بالاطلاع على القرار الاتهامي في حوادث الضنية يتبين أن خالد رياض المحمود، عمر محمد وائل الرفاعي، بلال خالد رياض المحمود، خالد عمر ميناوي و.. هم من أبناء التبانة. آخرون هم من القبة، ولا تختلف الثانية عن الأولى إلا بالقليل، علماً أنها تتوازى معها في الكثير.

ولأن باب التبانة كانت وما زالت مقراً للفقراء، فقد كانت ممراً لـ«الثورات الطرابلسية» التي كل ما اندلعت على قاعدة الخصوصية، اندفعت المنطقة نحو المهاوي التي وصفها بها تقرير الأمم المتحدة. فاروق المقدم أطلق حركة ٢٤ تشرين الثاني من التبانة دون سواها. حدث هذا قبل أن تندفع البلاد نحو الحرب، وبالتالي فقد تم ذلك في عز وذروة قوة السلطة. علي عكاوي الذي أسس تنظيماً أسماه «الثائرون» انطلق هو الآخر منها قبل أن يقتل وهو في قبضة السلطة. أحمد القدور أقام «دولة المطلوبين» في رحابها، قبل أن يتوسع منها نحو الأحياء القديمة. كان ذلك بين العامين ٧٢ و١٩٧٤ .. المقاومة الشعبية خاضت تجربتها على قاعدة هذه المنطقة ومنها امتدت الى الزاهرية.. التيارات الإسلامية تستقطب الكثيرين الآن كما فعلت الأحزاب والقوى السياسية اللبنانية والفلسطينية قبلاً.

جرود الضنية

قبل الدخول الى عالم الإسلاميين بتياراتهم لا بد من التعريج على أحداث الضنية.

بداية لا بد من القول إن طرابلس تجاوزت أحداث الضنية، التي سقط نتيجتها اثنا عشر جندياً وضابطاً للجيش اللبناني و١٤ من المسلحين وأربعة مدنيين، وما زالت حتى تاريخه محاكمة الموقوفين قائمة. لكن هذا التجاوز، كما يفهم من الأوساط السياسية والإسلامية على حد سواء، لا يعود الى المسافة الفاصلة عن الحدث. علماً ان هناك الكثير من الملابسات التي يتم البوح بها من خلال أسئلة من نوع: لماذا أثيرت الضجة حول مخيمات جرود الضنية قبيل الاشتباك وليس قبل عام أو شهرين من اندلاعها على الأقل. لا سيما ان مرتادي هذه الجرود كانوا قبلاً ينزلون الى طرابلس بسياراتهم وحتى بثيابهم العسكرية. والكل كان يعلم ذلك من المواطن في الشارع، لا سيما في محلات باب التبانة وأبي سمرا والقبة الى أجهزة الأمن؟. وهل حقاً هؤلاء الذين «طفروا» في الجرود كانوا وراء التفجيرات التي استهدفت بعض الكنائس... أم أن هناك فاعلين آخرين؟. وغيرها وغيرها..

من دون الغوص كثيراً يمكن القول إن طرابلس في الأعوام الممتدة بين ٩٥ ـ ١٩٩٩ شهدت صراعات حادة في إطار التيارات الإسلامية. كان العنوان الرئيسي لهذه الصراعات هو السيطرة على المساجد، باعتبار ان المسجد هو محل العمل التعبوي الأساسي ليس فقط من خلال خطب الجمعة، بل وأيضاً الدروس التي كانت توجه الى «حلقات المريدين» من خلال بعض المشايخ. وقد تم ذلك على قاعدة ما تعرضت له بعض التيارات الأساسية. فإذا ذلك يفتح المجال أمام بسام الكنج والعائد من «الجهاد» في أفغانستان والمقاتل ضد الاتحاد السوفياتي لتكوين مجموعته على حساب التيارات الأصلية التي عرفتها المدينة. ومن خلال تجميع أكبر عدد من الملاحقين، أخذت فكرة تأسيس مخيم في الضنية تتكون، علماً أن هؤلاء الذين جمعهم أبو عائشة لا علاقة لهم بالفكر الإسلامي. إذ إن أبا عائشة نفسه كان يقود «أوتوكار» ويبيع المناقيش.. أما القتلى والموقوفون والهاربون فلا أحد منهم قد تجاوز الشهادة المتوسطة.. المستوى الفكري والتعليمي والمادي يدل على ان في هذه القضية أكثر من علامة استفهام. فأكثريتهم هم من العمال والفقراء والعاطلين عن العمل.. «كل الظروف المحيطة بهم دفعتهم الى التطرف. المستغرب الا يحدث ذلك. قبل أن يحاسب الناس يجب أن يسأل المسؤولون ماذا أمنوا لباب التبانة والقبة. و...»، والكلام هنا لأمين عام حركة التوحيد الإسلامي الشيخ بلال شعبان.

يدعو نقيب المحامين السابق رشيد درباس كل متنور الى إضاءة شمعة بدل أن يلعن الظلام، واضاءة الشمعة كما يرى هو نوع من الصراع مع حال الموات القائمة التي لا يغير فيها نمو التيارات الإسلامية الأصولية. وهو يتفق مع القول بأن أحداث الضنية لم تترك مضاعفات في طرابلس، علماً أن الشارع قد تأثر متأخراً، عندما كان كل ملتح يعتقل. قبلاً كانت ضغوطات وملاحقات وأعمال قمع دفعت الى اعتبار هذه المجموعة التي شاركت فيها ان الضنية وجرودها هي مشروع من المشاريع. لكن درباس يقرأ كل ما تعيشه طرابلس، بل لبنان والعالم الإسلامي والعربي على خلفية أوسع، تتعلق بالصراع، كما كان عليه في مراحل الستينيات والسبعينيات حيث الاستقطاب بلغ مداه بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، التي استعانت بهذه القوى لإسقاط الاتحاد السوفياتي، فيما العالم ينقسم الآن بين الشمال والجنوب، فيما تضغط أميركا بأقصى قوتها لتكريس هيمنتها وسحق كل من يعترض أو يقف بمواجهتها.

جماعات ومساجد

ما زال موقوفو جماعة الضنية في سجن رومية. وهم كما هو معلوم لا ينتسبون الى منطقة الضنية. ما زالت الاشتباكات التي رافقت الحدث في الذاكرة. لكن الحركة الإسلامية في الشمال خصوصاً وطرابلس تحديداً ليست وليدة الأعوام الثلاثة الأخيرة على أي حال. إذ إن العمر الزمني لأقدمها وهي الجماعة الإسلامية يقارب الأربعين عاماً، وقبلاً أيضاً كانت هناك «جماعة عباد الرحمن» في بيروت، وعبر فتحي يكن انتقلت الى طرابلس. وعباد الرحمن هو الاسم الحركي لحركة الاخوان المسلمين مثله مثل الجماعة الإسلامية. من خلال الدعوة الى أهدافها وعبر بناء تنظيمي كان رأس الهرم فيه (الأمين العام) يكن، أخذت الحركة تحقق تراكماً

تمكنت معه من ترشيح المحامي محمد علي الضناوي الى الانتخابات النيابية في العام ١٩٧٢. لكن الترشح شيء والحضور الجماهيري القادر على المجيء بنواب الى قاعة المجلس النيابي أمر آخر. ويرى المحامي درباس ان النهوض الفعلي للجماعة الإسلامية لم يحدث في النصف الأول من السبعينيات، بل في أعقاب الحرب الأهلية، وتحديداً في انتخابات العام ١٩٩٢ عندما فاز مرشحها في طرابلس، الداعية محمد فتحي يكن وفي بيروت د. زهير العبيدي وفي الضنية أسعد هرموش. وقد حدث ذلك لأن الحرب الأهلية ونتائجها تكفلت بإخلاء الشارع للإسلاميين بدلاً من اليساريين والمسيحيين الذين اعتكفوا عن المشاركة في التصويت. قبلاً كانت الجماعة قد دخلت الحرب بقدر محسوب وضمن المعادلات عبر تنظيمها العسكري «المجاهدون»، لكنها توجست من تجربة حركة التوحيد فابتعدت عنها. الحضور السياسي الذي تأمن انتخابياً على انفراد في العام ١٩٩٢ تعرض للانتكاس في العام ١٩٩٦ عندما ارتفع معدل الترشح في صفوفها بقرار أو من دون قرار فكانت الخسارة أكبر من أن تخفى عن الأعين.

ومن الجماعة الإسلامية تناسلت كل الحركات أو تلاحقت على خطاها. إذ إن هذه الجماعة نشأت في الستينيات فيما جذورها تضرب في مرحلة الخمسينيات. علماً ان أهدافها كما تحددت بدت خارج إطار الفعل السياسي إذا اقتصرت على «إبلاغ الدعوة الإسلامية بالاتصال مع العصر وتنظيم المستجيبين وتثقيفهم لتكوين طليعة ومواجهة تحدي الحضارة الغربية والسعي لبناء مجتمع جديد وجمع شمل المذاهب الإسلامية بالعودة الى الأصول الإسلامية».

الجماعة السلفية تأسست في العام ١٩٧٦ تحت اسم «نواة الجيش الاسلامي» برئاسة الشيخ سالم الشهال. لكنه في العام ١٩٩٧ سرح هذه النواة أو الجيش واستبدله بـ«جمعية الهداية والاحسان الإسلامية» التي سرعان ما برز اعتقادها المذهب الوهابي - السلفي. وهي مثلها مثل سواها تعتمد ابن تيمية مرجعاً فقهياً لها، خلافاً للمراجع الفقهية السنية الأربعة المعروفة «أبو حنيفة، الشافعي، انس بن مالك، وأحمد بن حنبل». وتحقيقاً لغايتها أنشأت جملة معاهد للعلوم الشرعية تولي شؤونها نجل الشيخ سالم داعي الإسلام الشهال. إلا ان تدريسها في كتاب «يحرض على الفتنة» دفع مجلس الوزراء الى اتخاذ قرار بحلها ووقف نشاطها. علماً أن داعي الإسلام الآن متوار عن الأنظار ومطلوب للتحقيق والمحاكمة في أحداث الضنية.

رابطة الثقافة والتضامن الإسلامية، جمعية الغوث الإسلامية، جمعية دعوة الإيمان والعدل الإسلامية، جمعية الإصلاح الإسلامية، جمعية الانقاذ الإسلامية.. أسماء أسماء وهناك أكثر. ولكل من هذه وسواها مؤسساتها: مدارس، معاهد، مستوصفات، مستشفيات، مؤسسات رعائية واجتماعية.. ومساجد وفي كل مسجد امارة، وكل شيخ يستطيع ان يقف على المنبر ويفتي، كما يقول بلال مطر، باعتباره أميراً لمجموعة من المصلين ان لم يكن لمجموعهم.

هذا بعض عالم المدينة، وهو عالم واسع ولا بد من الدخول الى بعضه ان لم يكن ممكناً العبور اليه كلاً.

أكثر من ٣٥٠ تنظيماً إسلامياً

يعتبر الباحثون في الحركات الاسلامية أن كل التنظيمات العاملة الآن والتي يصل تعدادها إلى أكثر من ٣٥٠ تنظيماً، منشقة عن اصل واحد هو حركة الاخوان المسلمين في مصر. أما المصادر الايديولوجية لها فهي تبدأ من حسن البنا وسيد قطب في مصر، وتمر على ابو الأعلى المودودي في باكستان وتنتهي الى ابن تيمية و«السلف الصالح». تجمع هذه الحركات على القول إن الاسلام يعاني من اخطار متعاظمة مصدرها الصهيونية العالمية والصليبية الاميركية، فضلاً عن الحداثة ومستتبعاتها. ويرى اكثر هذه التنظيمات ان مواجهة هذه التحديات سواء منها الخارجي او الداخلي لا يمكن ان يتم الا من خلال العودة الى الاصول الاولى وحتى الى الخلافة الاسلامية كشكل من اشكال الحكم. اي الى العصر الذهبي او المثالي الذي عرفه الاسلام.

بالطبع تتباين هذه التنظيمات لجهة الموقف من العنف، سواء الذي يتم اعتماده للوصول الى الاهداف المرجوة، او العنف الذي تتعرض له ويدفعها الى الرد بالمثل. الضغوط التي تتعرض لها الجماعات الصغيرة في الاغلب وتدفعها الى خيارات عنفية، ذات مصادر محلية ودولية. ويترافق ذلك مع نمو للظاهرة الاسلامية بفعل الشحن الايديولوجي الذي يمارسه أئمة في المساجد بعضهم من مروّجي مبادئ فئات متعصبة. ويتساوى في النمو ما تشهده الدول الاسلامية او تلك التي تقيم فيها جاليات اسلامية كالدول الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية واميركا اللاتينية وسواها. وقد تأسست وتتأسس الجماعات الصغيرة دوما بالانفصال عن تنظيم «ام» اساسي، مثاله في لبنان الجماعة الاسلامية او حركة التوحيد. وبعد هذا الانفصال يتمّ التوجه نحو العمل المباشر الذي يصاغ عبر قائد او امير يطلق الشحنات «الجهادية» بين الاعضاء كما حدث في جرود الضنية.

لكن الوصول الى الفعل المباشر كان يتطلب موصلا جديدا تمثل بالافغان العرب. والأخيرون هم صناعة الاستخبارات المركزية الاميركية بالتعاون والتنسيق مع العديد من الدول العربية واجهزتها. وقد حصلت هذه المجموعات التي انضوت في القتال ضد «الاتحاد السوفياتي» في افغانستان على الرعاية الاميركية والتمويل العربي في الوقت ذاته. وعندما خرج الاتحاد السوفياتي من افغانستان وأخلى الساحة للقوى المحلية. تخلت الولايات المتحدة عن هؤلاء، الذين قرر بعضهم العودة الى ديارهم، فيما ظل الباقون في افغانستان او انتقلوا الى سواها. لكنهم اصروا على خطهم والاستمرار فاصطدموا بأميركا، التي تحولت استراتيجيتها من مواجهة السوفيات بالوسائط الاسلامية الى مكافحة «الارهاب» الاسلامي الذي سبق واستخدمته هي نفسها من خلال قوتها هي واعتماداً على تعاون استخباراتي واسع من هذه الأنظمة.

ما يمكن ذكره ان تعدد تنظيمات التيار الاسلامي وتنوعه لا بد وان يطلق مجموعات عنفية صغيرة ذات أهداف ووسائل قصوى، اعتماداً على مناخ التأزم او الازمة التي تعانيها هذه التنظيمات، فضلا عن الضغوط الامنية التي تستهدفها في معظم الاحيان.

حركة التوحيد
من المرحلة الميليشياوية إلى المؤسسة التنظيمية

خلاف التنظيمات الإسلامية الطرابلسية لم تنشأ حركة التوحيد الإسلامية في ظل ظروف السلم، بل في صميم المعارك التي خاضتها المدينة وطبعتها بطابعها الخاص. لكن بين الاعوام ١٩٨٢ حيث أعلن عن قيامها والعام ٢٠٠٣ واحد وعشرين عاما، تغيرت الحركة تغيرا قد يكون كاملا، ليس على صعيد الاهداف، بل على مستوى الأداء. تبدو هذه الحركة الآن أكثر انجذابا الى داخلها. بالتأكيد مرت هذه الحركة بمراحل وتغيرت قيادتها بحكم وفاة مؤسسها وقائدها الشيخ سعيد شعبان أميرها وخطيبها والمحرض الأول بين صفوفها. لكن جمهورها تقريبا مازال هو هو. الا ان الحركة لا تحاول الآن فقط تدبير أمورها الداخلية على نحو مختلف عما كانت عليه، بل تعمل على إعادة تقديم نفسها بانفتاح على الآخرين، وانشداد ما الى الخارج. سواء كان هذا الخارج العراق المهدد بحرب أميركية مفتوحة، او الخارج عن مساجدها ومؤسساتها. تحاول الدخول في حوار وتعمل على نسج علاقات طبيعية مع فرقاء المدينة، سواء كانت تنتمي الى التيار الإسلامي او سواه.

مع ذلك هناك قراءات متعددة ومتباينة لهذه الحركة. بالطبع لأصحابها قراءتهم المختلفة عن قراءة من هم من خارج، من أهل المدينة سواء كانوا في السياسة بشكل مباشر او بحكم اهتمامهم بالشأن العام للمدينة وتحولاتها. إلا ان هذا الاختلاف لا يمنع من القول ان الحركة هي هي نفسها. حركة واحدة منقسمة على نفسها، بين الشيخين بلال شعبان وهاشم منقارة، الا ان لها قراءات متعددة. دوما تحاول هذه الحركة الوقوف في قلب الحدث الداخلي. ربما لهذا السبب بالذات حاولت مع سواها لدى اندلاع أحداث الضنية الوصول الى حل يمنع الاصطدام أولا، او تلافي تصاعده عندما بدأ على الأرض، بضمان الافراج عن معتقلي الجيش في حينه وانسحاب المسلحين، وهذا لم يحدث بطبيعة الحال. الموروث الذي تملكه الحركة كبير وواسع، في ظل تأزم يطال العديد من قوى التيار وكل لأسبابه، وهو تأزم يتجاوز التيار بطبيعة الحال. تأزم سياسي واقتصادي واجتماعي عام ينسحب على كل الشرائح والفئات. ومن الأكثر فقرا ومعاناة تغرق الحركة عناصرها من خلال صف من الدعاة - أئمة المساجد، ولكن لم يعد للحركة «أمير»، كما كانت عليه خلال حياة الشيخ سعيد شعبان، بل بات لها أكثر من أمين عام ومكاتب سياسية وتنظيمية واعلامية وتربوية و.. لإدارة شؤونها.

رغم المسافة الواسعة التي يعبر عنها هذا التحول في بنيتها، إلا ان هذه الحركة تظل مشدودة الى تاريخها الذي نشأت منه، ونمت في رحمه، وهو تاريخ وان كان يختلف عما نعيشه الآن، إلا انه في الوقت متماثل في العديد من المفاصل، بألف دليل ودليل وفي مختلف الصعد.

****

التأسيس

بعد عدة اجتماعات عقدت بين كل من الشيخ سعيد شعبان كإمام مسجد، وخليل عكاوي قائد المقاومة الشعبية في باب التبانة وكنعان ناجي قائد «جند الله» ود. عصمت مراد على رأس حركة لبنان العربي، أعلن في العام ١٩٨٢ عن قيام الحركة الموحدة لهذه القوى تحت اسم حركة التوحيد الإسلامية وبزعامة او امارة الشيخ سعيد. لم تكن القوى المشكلة للحركة متماثلة من حيث النشأة. عكاوي جاء ومعه تجربته وقوته وكان بمثابة النواة الأساسية، كما يقول المحامي رشيد درباس. «جند الله» تشكلت في غضون حرب السنتين كفصيل عسكري لجمعية الغوث الإسلامية وكان مؤسسه الشيخ فواز حسين آغا فيما تولى كنعان ناجي قيادته. عصمت مراد جاء من تولوز الفرنسية بعد ان درس الطب فيها، وافكار مراد تراوحت بين القومية العربية والماوية، وكان متطرفا في موقفه من اليسار التقليدي على حد ما يصفه درباس. يضاف الى هذه القوى العديد من الرموز الإسلامية.

ينسب البعض الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قيام الحركة، إذ كان بحاجة الى ذراع عسكرية في طرابلس، الأمر الذي حدث فعلا بعد مفاوضات ولقاءات، فيما ظلت خارجها الجماعة الإسلامية التي كانت منتشرة بين فئات عدة في المجتمع الطرابلسي،

وليس فقط على صعيد الفئات الدنيا. إذ ظل هؤلاء يعتقدون ان حركة التوحيد زائلة وهم باقون، باعتبارها حالة ميليشياوية طافية على السطح. والكلام الأخير لدرباس أيضا.

من الصعب رصد ومتابعة اداء حركة التوحيد خلال الثلاث سنوات وما تخللها من أحداث. سواء على صعيد الصراع العنفي او سواه، ولكن المدينة عاشت في حينها بما يشبه المنام. كانت هناك سلبيات كثيرة، وكانت هناك ايجابيات. السلبيات من نوع فرض فكر سلفي على المدينة، المذبحة التي نظمت للحزب الشيوعي، وما طال محازبيه رجالا ونساء، السيطرة على المرفأ والعديد من المرافق. والايجابيات من نوع القضاء على بؤر تجارة المخدرات وفرض قبضة أمنية على المدينة بمن وما فيها من أشخاص وأفراد ومؤسسات خلاف الفوضى السابقة.

لكن حركة التوحيد القت سلاحها في العام ١٩٨٥. هذه الهزيمة التي تلقتها لم تعن انتهاء حال التدين او التمدد الاصولي على الساحة الطرابلسية. تبدد اركان هذه الحركة، وتفرقوا أيدي سبأ وكل الى مصيره، وبذلك تفككت القبضة الحديدية. لم يعد عكاوي أميرا لباب التبانة ولا الشيخ هاشم منقارة أميرا للميناء و.. على يمين كل أمير مساعده. قتل من قتل واوقف من اوقف ولم يبق من الحركة الا الشيخ سعيد الذي لم يكن في حينه يملك قوة عسكرية خاصة به. كان هو الأمير الذي يترأس قوات آخرين، لكنه كان الغطاء الذي يظلل الجميع ويحتضنهم. مع انهيار الحركة عسكريا وما اصاب قياداتها توزع عناصرها كل في طريق. قسم فتح خطا على حزب الله، جزء ثان دخل الى جمعية المشاريع، ثالث دخل الى التيار السلفي، ورابع عاد ادراجه الى الجماعة الإسلامية الأم. كما يقول درباس وكان هذا التوزع اثباتا لقاعدة غنى القاعدة الطرابلسية بالتنظيمات الاسلامية المتنوعة تيارات ومشارب. والتيار السلفي وكذلك الجماعة كانا الاوفر حصة في مآل تركة حركة التوحيد. نما التيار السلفي تباعا وعندما تسلم داعي الاسلام الشهال مقاليد الأمور بدلا من أبيه الشيخ سالم، ظهرت على نحو واضح جمعية المشاريع كنقيض. وكما أفاد التيار السلفي استفادت الجماعة الإسلامية وحدث التفاف حولها عبر عن نفسه في انتخابات العام ٩٢. إذن كان هناك ثلاثة ورثة اصليين هم: الجماعة الاسلامية، التيار السلفي وجمعية المشاريع. لكن الشيخ سعيد كان لا يزال يلعب دور الراعي للتيار الإسلامي. وكانت هذه القوى الثلاث تراعي بنسب متفاوتة موقعه هذا، وكانت تتنافس على صعيدي المؤسسات المدنية الخاصة، فيها الاحياء و المساجد. من بين خروم هذا الصراع ستنشأ مجموعات أخرى في كل من التبانة وأبي سمرا، وهي التي ستتحول لاحقا الى جماعة الضنية ذات الخيوط والخطوط مع أبي محجن وعصبة الأنصار في عين الحلوة.. وانطلاقا من تجربة القتال في افغانستان للبعض من القياديين فقط. كان الكل يغرف من معين الناس الفقراء الذين رأوا في الدين ضالتهم بعد انهيار المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفياتي والحركة القومية وتراجع تأثير المقاومة وعودة العمل الفدائي الى الأرض المحتلة.. إذن تم الاستنجاد بالغيبيات بعد غياب المشروع العربي الملموس وعجز القوى السياسية عن حل مشكلة الطبقات الفقيرة كما يقول درباس.

مراحل ثلاثة

كيف تقرأ حركة التوحيد الآن تاريخها هذا؟. هذا السؤال يجيب عنه أمينها العام الشيخ بلال شعبان على النحو التالي:
ينطلق الشيخ بلال بداية من اعتباره ان الأساس في نشأة حركة التوحيد كحركة سياسية هو تظهير الحركة الإسلامية من الواقع التربوي الى الواقع السياسي. ومع ان شعبان يتحدث عن ان نشوء الحركة كان بمثابة رد على الغزو الإسرائيلي الا انه يقر انها لم تكن جزءا من الصراع معه. الا ان هذا لا يمنع من اعتبارها استجابة للواقع السياسي والتكليف الشرعي. وعليه يحدد المراحل التي عبرتها الحركة بثلاثة هي:

أولا- مرحلة ١٩٨٢-١٩٨٥ وقامت هذه على تجربة السلطة المفروضة في ظل غياب السلطة ومؤسساتها ولا سيما الأمنية، في بلد مقطع الاوصال. وقد اكسبتها هذه التجربة العديد من العداءات على قاعدة القول المأثور «ان نصف الناس اعداء لمن ولي هذا ان عدل». ولكن الحركة حققت نوعا من الأمن في بلد تآكله الحرب الأهلية. إذ ان طرابلس عاشت منوعات من الصراعات الداخلية بين تياراتها وقواتها، وكانت بمثابة عدة مدن تفصل بينها المتاريس.

أما على المستوى الفكري فقد اخرجت الحركة الخطاب السياسي من إطار المسجد الضيق الى الإطار العام. وما ينطبق على المسجد ينطبق أيضا على المدرسة والمعهد الديني.

ثانيا- مرحلة ١٩٨٥-١٩٩٩. خلال هذه المرحلة لم تكن حركة التوحيد تمسك بزمام السلطة التي آلت الى سواها، مع ذلك فقد كانت المرحلة هي مرحلة التوجه العام او الخطاب الجماهيري. وبذلك كانت الحركة تتحول من تنظيم عسكري الى تنظيم سياسي له قاعدة جماهيرية عريضة.

ثالثا- مرحلة ١٩٩٨-٢٠٠٣ وهي مرحلة بناء المؤسسات وإعادة تأطير التنظيم، إذ انه خلال هذه الفترة كان العمل جار على قدم وساق من أجل تحويل القاعدة الى تنظيم وليس الى حزب سياسي. وقد بذلت خلالها جهود كبيرة على المستوى الاعلامي من خلال الاذاعة والمنبر والجريدة. كما طرأت تحولات على الصعيد التنظيمي.

أمر الحرب الواقع

هذا التحقيب الذي يقدمه شعبان لا يغني عن التدقيق ولا سيما في المرحلة الأولى، التي مارست خلالها الحركة السلطة من خلال امرائها وأجهزتهم. يعترف هنا الشيخ بلال ان الأمر برمته فرضه واقع الحرب الأهلية في محطتها آنذاك، ويميزها بين عمل الحركة

العسكري والعمل الميليشياوي. والحصيلة كما يقول ان الهدف كان تدارك الاخطار وحصر الاضرار في نطاق ضيق. وخلال المرحلة المذكورة حدثت مواجهات مع افرقاء عديدين. ويعترف انه كانت هناك اخطاء، لأن هذا من طبيعة الإنسان.

لكن شقيقه معاذ شعبان يقرأ التجربة على نحو «ايجابي» أكثر. يقول: قبل ان تمسك حركة التوحيد بزمام الأمور كانت طرابلس تعيش على وقع الفوضى والاختراقات الأمنية والعبوات الناسفة، إضافة الى السلب والنهب والمشاكل المذهبية التي لا ضابط لها. ثم ان الخوات كان لها سوقها الرائج. لم يكن هناك بد من ضبط للأمور، وفعلا في المجال الأمني تم الامساك بالوضع، ومنع اطلاق النار وقمعت أعمال السرقة والنهب ووضعنا حراسات على المساجد والكنائس، وقد تم الحفاظ عليها جميعا من أي عملية عبث.

وبتفصيل المرحلة الثانية، يقول الشيخ بلال ان الشيخ سعيد شعبان اسمى فترة ما بعد العام ١٩٨٥ بأنها «مرحلة الصبر على الأذى». فقد تغيرت طرائق العمل بعد التحول الذي طرأ على المدينة، وبات هناك أمر واقع جديد لا بد من التعاطي معه بكيفية مختلفة عن سابقتها. ومع فقدان الحركة لسيطرتها تحول خطابها الى خطاب تعبوي جماهيري ولم يعد خطابا تعبويا ـ عسكريا كما كان عليه قبلا. السيطرة التي خضعت لها المدينة ترافقت مع تفكك قوى الحركة. مع ذلك باتت الحركة هي حركة الشيخ سعيد شعبان واختلفت عما كانت عليه. عندما كان هناك امراء كل يمسك بزمام منطقة من مناطق المدينة. باتت الحركة هي حركة سعيد شعبان قولا وفعلا. ولم يعد هناك وجود لمجلس الامراء الذي كان يملي عليه ارادته والقرارات الكبرى. خلال هذه المرحلة التي يتحدث عنها الشيخ بلال، خاضت الحركة معارك عدة، أبرزها الاعتصام دفاعا عن اذاعتها وانتخابات البلدية التي نجح فيها التيار الإسلامي في ايصال ٧ اعضاء من اصل ثمانية الى المجلس البلدي للمدينة وذلك في إطار لائحة الاصلاح.

إذن يؤشر هذا المسار خلال الحقبتين الى تحول طرأ على الحركة. في المرحلة الأولى قامت الحركة بالقضاء على لجنة القبة، ومسلسل الاشتباكات مع الاحزاب: الشيوعي اللبناني، القومي السوري، تشرين، البعث (العراقي) العربي الديموقراطي... وصولا الى الاعتصام دفاعا عن اذاعة «صوت الحق». أما ذروة هذا التحول نحو السياسي فقد تمثلت في الانتخابات البلدية التي خاضها التيار الإسلامي تحت زعامة الشيخ شعبان الأب، باستثناء كل من الجماعات السلفية وجمعية المشاريع. باعتبار ان الأولى دعمت التيار دون ان تنخرط في التشكيلة فيما انضوت الثانية في عداد اللائحة التي دعمها الرئيس عمر كرامي في الانتخابات البلدية والاختيارية.

في حينه كان التيار الإسلامي ينضوي في إطار تجمع الهيئات الإسلامية وقوامه: الشيخ سعيد و مظلة الجميع، الجماعة الإسلامية، جمعية الاصلاح الإسلامية، جمعية الانقاذ الإسلامية، رابطة الثقافة والتضامن الإسلامي، جمعية الغوث الإسلامية، جمعية دعوة الايمان والعدل الإسلامية..بالطبع هناك قراءات للمسار الانتخابي النيابي والبلدي على حد سواء، وهي تحليلات متباينة بين أصحاب هذه التيارات وسواهم من متابعين ومراقبين لكن الجوهري يظل ان المدنية، وربما كسواها،قد شهدت فورة لهذا لاخط، وان ما يسرى على المدينة لا يسري على انتخابات نيابية سواء كان الشمال خلالها دائرة واحدة او دائرتين. او نتيجة حال الارتباك التي عاناها هذا التيار تحت وطأة التنافس بين قواه وأركانه ومرشحيه.

بين العمل القتالي ـ الميليشاوي والعمل السياسي النيابي ـ البلدي مرحلتان، وخلالهما برزت صيغ عدة للعمل الجبهوي، كما برزت مقومات الانفراط حقيقية. هذا مع العلم وكما يقول درباس «ان الحالة الإسلامية موجودة وقائمة، ولكنها غير منظمة. إذ ان هزيمة حركة التوحيد واخلائها سيطرتها عن المدينة لم يقد الى انهاء حال التدين وهو المناخ المثالي للعمل الاصولي. معنى ذلك ان البذور موجودة، ولأن المشكلات المتداخلة مازالت على حالها ولا تجد وسائل علاج لها، فإن ذلك سيقود بالضرورة الى إعادة نمو، ضمن مناخ الهشاشة الاجمالي».

غياب «الأمير»

دوما مثل الشيخ سعيد شعبان المظلة التي تتفيأ تحتها مجموعات وتنظيمات التيار الإسلامي. في البداية كان مجرد حاضن لقوى الآخرين. أمير على امراء أقوى منه وافعل على الأرض. اعطاهم العباءة التي استظلوا بها وأعطوه القوة التي ينطق باسمها. بعد ان انهارت الحركة عسكريا بانفراط قوى عقدها، أخذت تتكون حركة توحيد خاصة به. قوة تأتمر به دون سواه. بالتأكيد غادر كثيرون هذا الفضاء الواسع الذي اسمي حركة التوحيد، لكن الشيخ سعيد حافظ على الاسم، باعتباره خلاصة تجربته وأخذ يعمل على تكوين تياره، في مواجهة تيارات لها مرجعياتها ومؤسساتها العريقة وانتشارها في الاحياء والحارات.

يرى الأمين العام الشيخ بلال ان شخصية الشيخ سعيد طبعت الحركة الإسلامية بطابعها، واحتضنت ورعت وكانت العلامة التي تجتمع تحتها كل القوى بصرف النظر عن التناقضات التي تعتمل في صفوفها. على هذا الأساس اجتمعت هذه في إطار اللقاء الإسلامي وكانت شخصيته هي شخصية توحيدية. مع زوال السيطرة العسكرية على المدينة لم يعد له شركاء في اللقاء وبات يتابع كل قرار ويمسك بمفاصل الأمور. لذلك عندما توفي حدث عام ١٩٩٨ ما يشبه حال الضياع، وكان ذلك بمثابة خسارة للحالة الإسلامية في طرابلس ولبنان والعالم العربي.

هذا ما يقوله الشيخ بلال، لكن الموضوع أشد اتساعا من مجرد شخصية قيادية جامعة، واكبت مراحل من تاريخ المدينة او التيار الاسلامي فيها. إذ ان الأمور ترتبط بمتغيرات وتحولات وصراعات لها بعدها الاقليمي كما هو معلوم. لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال التقليل من أهمية الدور المحوري الذي لعبه. هذا الموضوع يفتح على التدقيق في مقدمات المرحلة الثالثة، الذي ضربنا عنه صفح التفاصيل، وهي مرحلة بناء المؤسسات التنظيمية، كما يصفها الشيخ بلال. وهي مرحلة املاها سد الفراغ الناجم عن غياب المؤسس ـ الأمير ـ القائد ـ الخطيب، الذي تندفع جماهير المؤمنين الى سماعه في مسجد الأمين بأبي سمراء والاطلاع على مواقفه من الإذاعة. كأنه الوحيد الباقي من امراء الحرب في المدينة والمتحول نحو السياسة بمعناها المحلي وليس العام. هذا الإطار الذي وضع

فيه يرتبط بما آل اليه الوضع اللبناني وتقدير الاوزان والادوار الذي حدث بعد الشروع في صياغة معادلات الطائف في البلاد. وبالطبع كان ذلك جزءا من الثمن الذي تم دفعه. لكنه على أي حال نجح في الحضور البلدي بعد ان عوقب على الصعيد السياسي كما هو معروف.

العاصفة والرؤية السياسية

تبدو تركيبة حركة التوحيد الإسلامية مغايرة لما كانت عليه عندما كانت عبارة عن تجمع قوى تلتقي عبر امرائها في مجلس القيادة. فقد تأسس التيار على قاعدة الالتفاف حول الشخص في غضون مرحلة التراجع، ونجح الدعاة في بناء ركائز تحمل اسم حركة التوحيد دون ان يعني ذلك تطابقا مع مكونات المشروع الأصلي، علما ان الجماهير هي هي اياها كما يقول درباس.

قبل الدخول في تركيبة بنية الحركة المنقسمة على نفسها، لا بد من القول انها تعمل الآن على تشكيل محور سياسي - إسلامي - مسيحي وطني. تنطلق في هذه الفكرة من معطى أساسي قوامه ان نذر العاصفة الأميركية المقبلة على المنطقة بدأت بوادرها بالهبوب. وهي ان كانت تتوجه أولا نحو العراق، إلا انها ستطال المنطقة بأسرها. ومن ضمنها لبنان بطبيعة الحال. يربط الشيخ بلال شعبان بين العاصفة المؤكدة وسلسلة مترابطة من الاحداث الأمنية التي شهدتها الساحة اللبنانية: تفجير مقام النبي عزير في عنجر، اطلاق النار على القاضي فادي النشار، اغتيال القضاة الأربعة، استهداف العسكريين.. كل هذه حلقة واحدة لإعادة ابراز النتوء الطائفي في لبنان، لأن لبنان إذا كان موحدا فإنه ينتج ٢٥ أيار (ذكرى التحرير)، بينما إذا كان متفرقا يصل الى التوقيع على ١٧ أيار آخر. إذن كما يرى الشيخ بلال فإن مشروع تشكيل المحور السياسي الإسلامي - المسيحي الوطني يعبر عن عنوان رئيسي قوامه رفض الهيمنة الأميركية - الصهيونية على المنطقة، سواء استهدف العراق او فلسطين، كما يجري راهنا او سواهما كما هو مرشح لاحقا. من هذا المنطلق يدعو الى الاتفاق للابقاء على العزة القومية، فيما الاختلاف في الدين نتركه لله. نحن لا نحاسب أحدا، ولا ندعي اننا الفرقة الناجية. علاقاتنا مع غير المسلمين تقوم على قاعدة الولاء للمشروع الواحد الذي يقوم على العدالة والوطنية. يضيف: نحن لا نقيم علاقاتنا على أساس الدين، ونريد حوارا حقيقيا حول ما ندعو اليه من تكاثف لمواجهة العاصفة. نحن نرفض التعاطي العرقي والقومي والديني ونصر على الحوار في إطار وطني جامع. إذا انشأ الأميركيون أكثر من عراق، معنى ذلك ان مشروعهم بحاجة الى أوكسجين طائفي وعرقي وقومي. من هنا يبرز الوعي. كما يضيف.

انطلاقا من هذه الرؤية بادر الشيخ بلال وأركانه لمناسبة اعياد الميلاد ورأس السنة الى زيارة المراجع المسيحية التي رحبت بالفكرة. حتى ان أحد المراجع قال: «انتم نوع من الاصولية يجب الحفاظ عليها». كما يذكر ذلك الشيخ بلال نفسه.

حضور الأمين العام

يتمتع «الأمير» في التنظيمات الاسلامية بسلطة على «امارته»، أي مجموعته، اقصى ما جادت به قرائح التيارات الاسلامية كان مجلس شورى، علما ان التجربة التاريخية لا تعطي الشورى طابع الالزام. الأمين العام هو اللقب القيادي الشهير في التنظيمات اليسارية الشيوعية وغير الشيوعية. وهو أيضا يتمتع بصلاحيات مركزية على حساب مؤسسات الحزب كما هو معلوم. وقد اعتمد الاخوان المسلمون كما هو معروف هذا اللقب.

بالنسبة لحركة التوحيد الإسلامية، تختلف المرحلة الراهنة عن المرحلة التي قادها الأمير الشيخ المؤسس، وكل لها صفات ومواصفات. فضلا عن التجربة التي تجعل إمكانية الاستمرار بها أمرا متعذرا. يؤكد الشيخ بلال شعبان ان الأمين العام هو رأس الهرم، لكن هناك مجلس الأمناء، وهو يتألف من ١٤ شخصا كانوا يمثلون المجلس الاستشاري للشيخ سعيد مع عدد من الأعضاء المنتخبين عبر عملية التصويت. مهمة مجلس الأمناء هذا الاشراف على مسؤولي المكاتب في الحركة. وهذه المكاتب هي: المكتب السياسي وهو يمثل القيادة السياسية الجماعية للحركة. المكتب الاعلامي ومهمته الاشراف على اعلام الحركة سواء كان مقروءا او مسموعا. مباشرا او عبر الانترنت. ثم هناك مكتب الدعوة والارشاد، إضافة الى المكتب التنظيمي وعمله داخلي والمكتب التربوي الذي يشرف على موسسات الحركة التعليمية. يضاف الى ذلك كله العديد من اللجان المتخصصة كاللجنة الصحية، الاجتماعية، الرياضية و..

يؤكد الشيخ بلال ان مجلس الأمناء هو الهيئة القيادية الحقيقية في الحركة الآن، ويستطيع بما يملكه من صلاحيات محاسبة الأمين العام على أدائه وادواره القيادية. ويشير الى ان هناك ما كان مشابها في المرحلة الأولى من عمر حركة التوحيد، لكنها تلاشت في غضون المرحلة الثانية. من هنا - يتابع - أهمية عملية الانتقال من الامارة كما مارسها الشيخ سعيد الى الحال التنظيمية الراهنة. بالطبع خلال المرحلة الأولى كانت هناك قيادة جماعية وكانت هذه فاقعة لأنه تم خلالها توحيد تنظيمات متباينة. أما الآن فالوضع يختلف تماما. لم نعد مجرد فرقاء اجتمعنا على أهداف محددة واحتفظ كل منا بسلطته على اتباعه. لقد اصبحنا تنظيما واحدا..

ختاما ينفي الشيخ بلال اي علاقة مع بن لادن او تنظيم القاعدة لكنه بالمقابل يؤكد اننا معادون للسياسة الأميركية. ليس هناك من عربي او مسلم عاقل الا وشمت بالولايات المتحدة عندما حدثت عمليات التفجير في نيويورك وواشنطن. لكن السبب في ذلك هو بالتأكيد السياسة الخارجية الأميركية في منطقتنا بدليل ما تشهده فلسطين من مذبحة تتم برعايتها ودعمها الدائمين.. أما العراق فإنه لا يهدد الولايات المتحدة، لا يقطع البحار الجندي والضابط العراقي، بل يأتي الأميركيون بآلة حربهم للهجوم عليه في أرضه.

كان اختيار حركة التوحيد من جانب «السفير» للتدقيق بأوضاعها، مصدره الأساس التحولات الكبرى التي عرفتها هذه الحركة، فضلاً عن ملابسات تأسيسها وراهنها. علما ان التيارات الإسلامية في المدينة لا تختزل بواحدة من القوى من تكون.

المقاومة الشعبية: من اليسار إلى الإسلامية دُر

يروي الرجل الثاني في المقاومة الشعبية ومسؤول اللجنة الامنية وعضو هيئة التنسيق والمقرب من خليل عكاوي محمد بلال مطر قصة المقاومة الشعبية في طرابلس وانتقالها من اليسارية الى الاسلامية على النحو التالي:

ينتمي خليل عكاوي الى أسرة يعمل الأب فيها فرانا، وهي متواضعة. شقيقه الأكبر هو علي عكاوي الذي شكل منظمة اسماها «الثائرون»، كان لخليل اخوات ينتمين الى منظمة العمل الشيوعي. وبهذا المعنى كان مقربا من اجواء الحركة الوطنية، كما كان صديقا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. من جانبي كنت قد التحقت بالمنظمة وكانت لدينا «اللجان الشعبية المستقلة»، وكان نضالها مطلبيا: ضد البلدية، الغلاء، والاحتكار.. وكانت اجواؤنا في طرابلس تشابه اجواء شباب المنظمة في بيروت، حيث توفر لنا عدد من المعجبين بتجربتنا، لا سيما بعد استشهاد علي. من هؤلاء: روجيه نبعة، سهيل القش، الياس الخوري و..شاركنا في الحرب مثل كل الناس وشكلنا خلالها المقاومة الشعبية وكنا نتعاون مع فتح والجبهة الشعبية والمنظمة وغيرهم. دخلنا الحرب من مدخل الصراع ضد السلطة والانعزال والمارونية السياسية. اثر التطورات التي حدثت بعد دخول قوات الردع العربية توجهنا نحو المخيم ـ نهر البارد ـ وعلى رأسنا خليل عكاوي، ثم عدنا لاحقا، واضطررنا الى الدفاع عن المنطقة، وهو ما حاول كثيرون توظيفه لحسابهم. فيما نحن من جانبنا لم نكن نمتلك اي افق سياسي او قدرة على صياغة قرار.

بعد الاجتياح الاسرائيلي لبيروت، حدث ارتباك على الساحة الوطنية وصعدت أسهم القوات اللبنانية، ونزحت العديد من القوى السياسية الى طرابلس. كان شعورنا اننا مستهدفون في باب التبانة. وكان لدينا وجود ايضا في الزاهرية. وقلنا ان لا بد من اشتراك كل طرابلس في الصراع الذي افتتحه الاجتياح والغزو. خلالها قمنا بمراجعة على مستوى وعينا. اعتبرنا بموجب هذه المراجعة ان الاصل في بلاد العرب هو الاسلام. وتوجهنا تبعا لذلك نحو كتب سيد قطب وحسن البنا. علما اننا في حينه لم نكن نعرف كيف نصلي او اركان الاسلام. عندما بدأنا نقول بالاسلام غادرنا المسيحيون والعلويون. لكن المجموعة الاساسية ظلت قائمة. كنا نقرأ قليلا ونأتي بشيخ ليعلمنا اركان الاسلام. خلال هذه الفترة حاول الكثيرون استيعابنا. كان المتضررون منا هم الجماعة الاسلامية التي كانت في حينه القوة الاسلامية الوحيدة، قبل هذا التحول حاولنا ان ننسخ تجربة «مجاهدي خلق» الايرانية كإسلام ـ يسار ولم ننجح.

أخذنا نطرح اسئلة تنطلق من كيفية توسيع اطارنا وحماية انفسنا في منطقة التبانة، والتقينا بحركة لبنان العربي وعلى رأسها د. عصمت مراد وفواز آغا وتنظيم جندالله. وبَعد مداولات وأفكار من نوع: تربية الاجيال وتثقيفها، طرحوا علينا اسم خطيب مسجد التوبة (منطقة الدباغة) الشيخ سعيد شعبان. والتقيناه حوالي عشر مرات. ويبدو ان الموضوع قد راق له، لا سيما وانه خريج الجماعة الاسلامية مثله مثل آغا وآخرين. على ضوء هذه اللقاءات تشكلت حركة التوحيد الاسلامية، التي استمرت طوال ١٨ شهرا ثم خرجنا منها وانفرطت، وأسسنا ما يسمّى في حينه «لجان المساجد والاحياء» وتابعنا انضواءنا في اطار اللقاء الاسلامي.

عندما حدثت معركة طرابلس رفضنا قتال الشيوعيين. وبعد مجزرة الميناء التي استهدفت الحزب الشيوعي، رأينا ان المستفيد منها هو الرئيس امين الجميل والقوات اللبنانية، سارعنا الى ساحة الكورة لنمنع الهجوم على اكبر تمركز للشيوعيين. وحدثت لقاءات معهم، ولم يكونوا قادرين عندها على التمييز بيننا وبين المشايخ الآخرين.

بالنسبة لي، انا لم أبايع الشيخ سعيد شعبان. فقد اعتبرت في حينه ان الامور ليست ناضجة لندخل في حركة اسلامية واكثر من نصف شبابنا لا يعلمون كيف يؤدون الصلاة. ابو عربي ـ خليل عكاوي ـ كان معي. وطلب مني ان اسافر، وفعلا توجهت الى فرنسا، حيث اقمت حوالي اربعة اشهر فيها، وقد تدبرت أوضاعي نهلة الشمال. بعد حوالي اربعة أشهر ارسل لي كي اعود فرجعت. عندما التقيته شكا لي من ازدواجية القوى وأحادية القرار ودعاني الى البقاء ان كنت حريصا على التجربة، وليس شرطا الالتزام بقرارات الحركة. في ذلك الوقت أنشأنا لجان المساجد، وتقريبا في غضون تلك الفترة ترك جندالله الحركة وانقسموا، فيما ظلت حركة التوحيد مكونة من حركة لبنان العربي والشيخ سعيد الذي باتت له جماعة.

في شباط ١٩٨٦ تم اغتيال خليل عكاوي عندما كان عائدا من اجتماع مع الشيخ سعيد قرب القلعة، بعد التطورات المعروفة التي انتهت بدخول القوات السورية الى المدينة، فغادرها الكثيرون.

يحدد مطر العامل الحاسم في هذه الاستدارة من اليسار الى الاسلاميين بأنه اللاثبات الفكري، اذ لم يكن للمقاومة الشعبية مدرسة ايديولوجية تنتمي اليها. كنا شبانا تجربتنا محدودة، وتعلقنا باسماء كبيرة مثل: هوشي منه، غيفارا.. لكن لم يكن لدينا مرجع نظري. كنا عبارة عن مجموعة شعبية مستقلة، تفكر في كيفية تخلص الناس من الظلم والاضطهاد والقهر... عندما وصلنا الى المفترق وعلى ضوء التطورات التي كانت تعصف بلبنان قلنا ان الاسلام هو الحل. البيئة من دون شك اثرت في تحولنا، وعبرنا عن اعجابنا بالصحابة الفقراء. اسلمنا او عدنا الى الاسلام، لكن اسلامنا كان على طريقتنا ويختلف عن اسلام سوانا.

كيف نشأت مجموعة أصولية في جارة البحيرة - القرعون؟

لا يختلف البقاع الغربي وراشيا عن لبنان إلا في بعض الخصوصيات. فالمنطقة هذه بمثابة موزاييك طائفي مثلها مثل الكثير من المناطق اللبنانية. لكن لا وجود لمدينة أساسية فيها. تتوازى جب جنين مع راشيا الوادي ومع صغبين أيضا. وهذه تشابه كلا من مشغرة والقرعون وسحمر أو المرج. الخريطة الطائفية تتمتع بحالات من الصفاء الطائفي، لكن السمة الإجمالية أنها مختلطة. لا يمكن قراءة بلدة أو قرية على نحو مفرد، بل لا بد من قراءتها في إطار محيطها الإجمالي. هذا الموزاييك الطائفي يعبر عن نفسه انتخابيا عبر ممثلين للطائفة السنية، ممثل للأرثوذكس، وللموارنة وكذلك لكل من الدروز والشيعة.. أي أن كل الطوائف لها حضور نيابي. ما يتبقى ينصرف تحت بند الأقليات لا أكثر ولا أقل وهي نادرة على أي حال من الأحوال.

حتى في ذروة الحرب الأهلية اللبنانية لم تشهد المنطقة أحداثا أمنية أو سياسية كتلك التي سادت في العاصمة والجبل، ومرد ذلك اعتبارات منها ما هو محلي ومنها ما هو إقليمي، فالمنطقة بالغة الحساسية نظرا لموقعها الجغرافي، إذ تتصل بكل من الأراضي السورية شرقا، قضاء زحلة شمالا، قضاء الشوف غربا وكل من جزين وحاصبيا ومرجعيون جنوبا. لم تتأثر المنطقة بزلزال الجبل، وعندما احتلتها القوات الإسرائيلية حتى حدود عميق والمنصورة وكامد اللوز وعزة، شهدت المنطقة مقاومة وطنية ضارية تحت غطاء القوات السورية المرابطة في السهول والمرتفعات التي تعتبر مدخلا من مداخل العاصمة السورية - دمشق عبر بوابة المصنع. لكن حدث في حينه أن تشكلت مجموعات من «القوات اللبنانية» في بعض القرى عملت على لغم الحياة الاجتماعية - الوطنية. إلا أن ذلك لم يؤد الى عمليات اقتلاع. ما حدث لا يعدو أن يكون مغادرة هؤلاء نحو العاصمة بيروت. وشيئا فشيئا عادت المياه الى مجاريها بفعل العلاقات القروية - البلدية من جهة والوعي الشامل بخطورة الانجرار نحو الاقتتال الأهلي. وهكذا أرغمت القوات الإسرائيلية على الانسحاب في ربيع العام ١٩٨٥ من السهل ومرتفعات الباروك ومنطقة راشيا، فيما ظلت القوات الإسرائيلية مرابطة جنوب بحيرة القرعون، وتحديدا في خطوط التماس مع المزارع، أي القرى والبلدات الشيعية في جنوب البقاع الغربي. المعطى الاجتماعي معطوفا على المعطيات السياسية المحلية والإقليمية، أدت الى إمساك المقاومة الإسلامية عبر حزب الله براية المقاومة للاحتلال. وبالطبع عادت المنطقة الشمالية من البقاع الغربي، أي تلك الممتدة من القرعون ومشغرة وراشيا حتى المصنع والمرج وقب الياس الى عزلتها السياسية - الوطنية في موضوع الصراع مع العدو الإسرائيلي.

هذه الأحداث التي تلاحقت أدت وضمن المناخ السياسي - الفكري العام الى حضور بعض التيارات الإسلامية السنية. إلا أن هذه وضمن المعادلات كانت أضعف من التعبير عن نفسها. يكفي مثالا على ذلك القول إنها لم تستطع في الانتخابات النيابية أن تشكل عنصر استقطاب فعلي، ما دام وجودها ينحصر ببعض القرى السنية، وهو وجود رمزي بكل المقاييس. أكثر من ذلك فإن حزب الله الذي لعب دوره الكبير في إطلاق المقاومة لم يستطع ترجمة وزنه نيابيا، وكان المقعد الشيعي كما تقرر مفرزا لحركة «أمل» دون سواها. وما يصح على حزب الله يصح على الحزب التقدمي الاشتراكي الذي بعد أن خاض معركة الانتخابات الأولى لم يكتب له المشاركة في الثانية لاعتبارات الأوزان المقررة.

ما يعنينا هنا، أن الجماعات الإسلامية السنية في المنطقة كانت مقتصرة على بعض أتباع الطرق الصوفية (النقشبندية - القادرية)، وكان لهؤلاء زوايا في بعض القرى، لكن المناخ الإجمالي كان مشدودا لدى هذه الطائفة الى الفكر التقدمي الذي عبرت عنه الحركة الوطنية بما تضمه من شيوعيين (منظمة وحزبا)، الاشتراكيين، الناصريين، القوميين، البعثيين و.. في غضون السنوات التي تلت الانسحاب الإسرائيلي، ولم يكن للتيارات الإسلامية السنية دور في القتال، أخذت تنشأ مجموعات صغيرة في خط القرى السنية الممتدة بين الروضة - مجدل عنجر وحتى البيرة والرفيد. وتنتسب هذه الى جماعات جديدة، إلا أنها ظلت في حدود لا تتعداها. في غضون الأعوام السابقة بدت المنطقة وكأنها تسير في خطى الانقسام الطائفي مثلها مثل

سواها من المناطق اللبنانية، ونجحت عمليات الشحن في إثارة أكثر من قضية تصب في إطار استحضار الطائفة السنية لوزنها. كانت المقدمة في المعركة الانتخابية النيابية التي نفذها العديد من المشايخ ضد المرشح الى المقعد النيابي عن هذه الطائفة أمين عام الحزب الشيوعي اللبناني فاروق دحروج. ثم أثيرت قضية ملكية الأوقاف في عنجر، وتخللها العديد من الاجتماعات الحاشدة. لكن هذه ظلت في حدود إعلان المواقف، إلا أنها أمنت المناخ اللازم لنمو الجماعات السلفية التي أخذت في إصدار الفتاوى المذهبية. لكن هذا كله رغم صحته لا يعني أن المناخ المذهبي هو السائد. قد يصح القول إن هناك حال ضياع لا تختلف فيها هذه المنطقة عن سواها من المناطق اللبنانية، لكن الخريطة الإجمالية بتقاطعاتها وإن كانت تسمح بمثل الحضور المتواضع لهذه التيارات، إلا أنها تضعها مثلها مثل سواها في إطار لا تتعداه. لذلك وإن كان وجود مجموعة أصولية في القرعون ذات علاقة مع أبي عائشة وأحداث الضنية يعبر عن أمر، فإنما يعبر عن نمو من خلال شقوق مناخ عام يعبر عن الانسحاق والهزيمة، لا سيما وان هذه المنطقة تتأثر مثلها مثل الجنوب بمجريات ما تشهده فلسطين، فضلا عما يعانيه العراق الآن، ومعطى العجز الذي يعبر عنه النظام العربي العام في ظل اشتداد الهجمة الأميركية ـ الإسرائيلية على المنطقة.

****

غادر علي حاتم الكلية حيث يدرس لعدة ايام، وعندما عاد اليها كان زملاؤه قد انجزوا امتحانهم. قابل المدير وطلب اليه إجراء امتحان خاص له. الا ان المدير رفض طلبه، لان الكلية انهت امتحانها وغادرها الاساتذة. وازداد تصلب المدير على ضوء معرفته بعلي حاتم شخصياً، لا سيما لجهة تشدده الديني، بدا حاتم للمدير انه من «جماعة التكفير والهجرة»، كان كل من لا يتوافق معه في السلوك الاجتماعي يتحول الى كافر، لو استطاع استئصاله لفعل، وعلي حاتم فارٌ الآن من وجه العدالة بعد احداث الضنية نهاية العام ١٩٩٩ وبداية العام ٢٠٠٠.

لكن حاتم هو واحد من مجموعة القرعون، التي انضوت تبعا للقرار الاتهامي الذي اعده رئيس محكمة الجنايات في جبل لبنان القاضي حاتم ماضي في اطار مجموعة الضنية، ليست على سوية واحدة، اذ ان في الاولى من ينتمي الى مرحلة تاريخية بعيدة، وتحديدا الى قبيل منتصف الثمانينات، وكانت حينها منطقة البقاع الغربي مثلها مثل الجنوب تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي، وتقاوم بما هو متوفر لديها من وسائل وقدرات وطاقات مادية وبشرية. يستوي في ذلك اليساري والاسلامي. وكان ضمن المجموعة التي تمّ تنسيبها الى مجموعة الضنية مقاومون، ان لم يكونوا كأشخاص فعلى الاقل آخرين ينتمون الى عائلاتهم: آباء، اخوة او...

والقرعون وان لم تكن مركز القضاء ـ البقاع الغربي وراشيا ـ الا انها لا تختلف عن جب جنين شتاء او صغبين صيفا لجهة الوضع السكاني، وهي مثلها مثل جب جنين مختلطة على الصعيد الطائفي، وكان للحزب الشيوعي دوما ثقل في اوساطها، ناهيك بسواه من تيارات قومية ووطنية يسارية. وعليه لم تعرفَ هذه البلدة اجواء طائفية، بل ان دورها خلال فترة الاحتلال ٨٢ـ ١٩٨٥ كان محوريا لجهة المقاومة من جهة وضبط المناخات الطائفية من جهة ثانية، وتأكيد على ان الهوية الوحيدة لمقاومة الاحتلال، هي هوية وطنية ـ قومية جامعة.

رغم هذه المناخات التي سادت «جارة البحيرة»، اخذت تنشأ تباعا المناخات الطائفية التي ادت في المحصلة الى هذا الانضواء، الذي لم يكن نافراً كما يظهر في القرار الاتهامي، الا لدى عدد محدود لا يتجاوز الاثنين او الثلاثة من الذين لا زالوا فارين وفيما الباقون تم الافراج عنهم، باعتبارهم غير مشاركين في الاشتباكات التي شهدتها جرود الضنية، كما رفضوا اي نوع من المعارك مع الجيش اللبناني، مؤكدين ان تدريبهم والذي تمّ في جرود الضنية، انما كان استعداداً لمواجهة اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، باعتبارها المساندة للاولى. علما ان العدد الاجمالي لاعضاء المجموعة بموجب القرار الاتهامي ايضا هو ١٣ فرداً.

لكن السؤال هو التالي: كيف نشأت أو نمت هذه المجموعة رغم المناخ الذي طالما ظلل القرعون وعُرفت به على صعيد منطقتي البقاع الغربي وراشيا؟

اول ما لوحظ وجود مجموعة ذات توجهات اصولية ـ لا يعني ذلك كل الذين وردت أسماؤهم في التحقيق ـ تمّ انطلاقا من احد مساجد البلدة. ففيما كان احد رجال الدين، وهو غير معمّم، ولا يرخي ذقنه يصعد الى المنبر لتأدية خطبة الجمعة، انسحب ثلاثة اشخاص ملتحين وعندما سألهم احد المصلين عن سبب خروجهم قبل الخطبة والصلاة اجاب احدهم انهم لا يصلون وراء «فاسق». غادر الثلاثة المسجد. لكنهم قبل ان يغادروا كانوا قد سألوا الإمام ان يسمح لأحدهم ان يتولى هو الخطبة، ولما رفض ذلك قبل الصلاة، طرحوا عليه ان يتولى المعني التحدث الى المسلمين بعد الصلاة، لكنه رفض ايضاً. جلسوا على مضض لدقائق ثم انسحبوا وسط حال من الاستغراب من جانب المصلّين.

هذه النبتة التي بدأت تتعرف عليها القرعون، لم تكن الى هذا الحد او ذاك من غرسها. علي حاتم وهو احد الاوائل في المجموعة، غادر ذووه الى افريقيا للعمل فيها كالكثير من ابناء البقاع واللبنانيين. وعندما عاد منها، لم يستقر في القرعون، بل انتقل الى بيروت وأخذ في دراسة الشريعة الاسلامية. تعرّف على احد مؤيدي حركة التوحيد الاسلامي بزعامة الشيخ سعيد شعبان وأخذ يتردد عليهم، وجراء هذه العلاقة بدا بالنسبة لزملائه والعديد من اساتذته غريب الاطوار. لم يتجاوز حاتم السنة الثانية من دراسته. وخلالها اخذ يمارس نشاطه خارج جدران كليته بطبيعة الحال، وبالاصطدام مع جمعية المشاريع الخيرية الاسلامية ومناصريها. ورفضت الكلية التدخل عندما وقع في احدى المشكلات مؤكدة انها مسؤولة عنه دراسياً وداخلها وليس خارجها. كان

هذا احد الخطوط التي عملت على تشكيل المجموعة. علماً ان مغادرته الكلية غاضبا على ادارتها وعلى مديرها تحديدا سيقوده لاحقا الى افغانستان للقتال مع «مجاهديها».

الوجه الآخر للمجموعة هو قاسم ضاهر، وهو كالكثر من البقاعيين غادر لبنان في العام ١٩٨٤ نحو كولومبيا وهناك في تلك البلاد تعرّف على رجل دين من بلدة الرفيد المجاورة ويدعى الشيخ حسين احمد، وكان ينتمي الى تنظيم الاخوان المسلمين. وتتلمذ على يديه، الا انه في العام ١٩٨٧ عاد الى لبنان تمهيداً للانتقال الى كندا، وفي بلدته تعرّف إلى علي حاتم الذي كان ينتمي الى حركة التوحيد فانتسب اليها. وعندما توجه الى كندا في مطلع العام الذي تلا عودته اخذ كمتدين يتردد على المركز الاسلامي - الكندي في محل اقامته في ادمنتون، حيث تعرف على الكثيرين واخذ كما سواه يجمع التبرعات للمجاهدين في البوسنة وكشمير وافغانستان. وفي العام ١٩٩٣ سافر ضاهر الى بيشاور للقاء حاتم الذي كان هناك واقنعه بالعودة الى لبنان. ولدى عودة حاتم الى لبنان سرعان ما زار ابا محجن لمرتين على الاقل وتوافقا في اعقاب لقاءات ثنائية على فكرة الجهاد المقدس والدولة الاسلامية تبعا لما يقوله القرار الاتهامي.

يتعرف في العام ١٩٩٥ ضاهر إلى بسام كنج خلال انعقاد المؤتمر الاسلامي العالمي في شيكاغو الاميركية، ثم يفترقان بعد ان يتبادلا ارقام الهاتف والعناوين. بعد فترة يطلب كنج من ضاهر ان يتعرف على شباب البقاع ولا سيما على علي حاتم، ويلتقيا لدى عودة الاخير في العام ١٩٩٧ في شتورا اكثر من مرة اولا، ثم في بيروت ثلاث مرات يتم الاتفاق خلالها على ضم مجموعة البقاع الى مجموعة الشمال، ثم يتكوّن مجلس شورى كان في عداد عضويته كل من حاتم وضاهر، ثم لا يلبث ضاهر ان يستفرد بالقيادة ويصبح اميراً لمجموعة البقاع، فيما حاتم ظلت علاقته تابعة لكنج من دون مسؤولية عن اي من اعضاء المجموعة، التي بدا ان مهمتها الاساسية هي تأمين التمويل والاسلحة. التمويل من التبرعات التي جمعها ضاهر من كندا وباناما والبرازيل (١٥٠ ألف دولار) والاسلحة من تجارها في البقاع (عاهد مظلوم وحسين طليس) وتزويد ابو عائشة - بسام كنج - بها في الشمال.

يتبين ان المجموعة ذات جذور قديمة، لكن ما حدث في غضون السنوات الخمس الاخيرة كان مختلفا تماما عن ذاك التكون الاصلي، علما ان هناك بعض الملامح التي يمكن تلمسها في النشأة القديمة، باعتبار ان الكثير من الذين انضووا فيها، انما انطلقوا في فكرتهم هذه من مبدأ جهادي ضد اسرائيل اولا، وبالطبع هم ايضا ضد ما يتعرض له مسلمو افغانستان او كوسوفو او سواهم. الا ان هناك امراً آخر يجب لحظه في مجموعة القرعون وذلك الذي يتعلق بالمناخ الاجتماعي في بلدة بقاعية - مختلطة.

من باب التذكير نشير الى انه بالصراع مع اسرائيل كان موقف ابناء الطوائف المسيحية في القرعون اكثر تشدداً على ضوء عراقة التيار العروبي وتاريخيته. وبالتالي فإنه لم تبرز مشكلة داخلية على هذا الصعيد منذ مطلع السبعينات وحتى اواسط الثمانينات. ثم ان الحياة الاجتماعية لم تعرف التمييز الديني في البلدة، المسلمون يذهبون الى المسجد والمسيحيون الى الكنيسة والعلاقات اليومية اكثر من عادية داخل البلدة ومتينة في المهاجر. بالطبع هناك عائلات غادرت البلدة الى المهاجر او العاصمة كما يحدث. لكن مع بداية هذه الموجة، اخذت تعرف العلاقات المتبادلة نوعا من «التسمّم» اذا جاز التعبير. حتى ان رئيس جمعية متخرجي جامعة الازهر الدكتور احمد فارس يقول: «عندما توفي التربوي د. مفيد ابو مراد رفضت مجموعة الاصوليين المشاركة في جنازته او حتى تقديم التعازي، فيما كنت مع ذوي الفقيد نتقبل التعازي بإنسان هو قيمة تربوية على صعيد لبنان وليس القرعون فقط». ويلحظ فارس ان هؤلاء أخذوا بنشر ثقافة التعصب وعدم قبول الآخر سواء كان مسيحياً أو مسلماً على غير اتجاههم، علما ان الاسلام مثلا انتشر في اندونيسيا من خلال دعوة التجار المسلمين لابناء البلاد الاصليين... واندونيسيا اليوم هي اكبر بلد إسلامي.

يؤكد فارس ان المجموعة هي فعلا مجموعتان واحدة قد تكون متورطة واخرى تم استغلال عاطفتها الدينية واستعمالها، تحت شعارات فلسطين وانتفاضتها، افغانستان و...

وبالعودة الى الاجواء المحلية مع بداية بروز هذا التوجه، كانت نقطة التصادم الاولى هي مع فارس اولا وامام المسجد الشيخ منير رقيه. حاولوا بداية السيطرة على المسجد وتحويله الى نقطة انطلاق، لكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح وجوبهت من فارس ورقيه، لكن هذا لم يثبطهم فاتجهوا نحو دار الفتوى محاولين الحصول منها على قرار، يبيح لهم هذه السيطرة. وهنا كان الفشل الذي برز مضاعفا، ففيما كانت اصولية ما تطل برأسها من خلال التشدد، كانت خطب الجمعة تشدد على نبذ التعصب واحتمال وقوع كل انسان في الخطأ وإنسانية الانسان لدى الاسلام وضرورة الدعوة الى الاعتدال وحفظ الوحدة المجتمعية التي لا تستقيم الا من خلال تناغم عناصرها، فيما الحساب هو لله و...

يربط المحامي سامي عبود الوضع في القرعون بانكسار المشروع الوطني والبدء بمحاصرته منذ مصرع كمال جنبلاط، وصعوبات ودوامة الحرب الاهلية التي أوقعت بالمقاومة الفلسطينية على ساحة لبنان، وصولاً الى حدث الاحتلال، اذ في اعقابه اخذت تظهر الاصولية، خصوصا مع نمو الاسلام الشيعي المقاوم، اي التيار الذي سمح له بالقتال. فيما تيارات اخرى اخذت تعبر عن نفسها عبر اساليبها المختلفة، بعدما انتهى دورها المقاتل.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو التالي: هل حقاً نشأت تلك المجموعة منتسبة الى «فكر» بن لادن اذا كان يصح القول ام ماذا؟

في البحث عن هذه الظاهرة يمكن ايجاد عدد من العناصر. ابرزها مثلا ان مجموعة القرعون لا تنتمي الى فئة اجتماعية واحدة او طبقية متقاربة. اذ هناك الميسورون بين صفوفها وكذلك الفقراء. كما ان اوضاعهم التعليمية تجمع بين الطبيب والمهندس والأمي

في الوقت ذاته. وعليه فإن البحث يجب ان يتجه نحو منحى آخر، الى المنطق السياسي. وعليه فإن عبود يذهب الى حد التأكيد انه لا يمكن عزل هذه الظاهرة عن ظاهرة الصراع مع اسرائيل وما تعرض له المشروع الوطني.

اضافة لا بد من ذكرها هنا، وهي ان الحركة الاصولية بمنوعاتها السنية خصوصا، ظلت حتى منتصف الثمانينات وما زالت هامشية في القرعون. المتدينون هم الاكثرية، لكن الاصولية لم تكن موجودة بالشكل الذي نتعرف عليها لاحقا، عندما يعتبرون كل من لا ينسجم مع افكارهم المتطرفة بمثابة عدو. يروي فارس انه طلب من الخادم إقفال المسجد بعد الصلاة، اي انه التزم بدعوة الخادم الى تطبيق تعليمات دار الفتوى بتحديد اوقات معلومة يفتح خلالها المسجد، قبل كل صلاة وبعدها، ووضع إعلانا بذلك، لكن الاعلان تمّ تمزيقه. كان القصد من وراء ذلك هو رفض استبدال المكاتب الحزبية بالمسجد. من يود النقاش في مسائل تدخل في مهمة الاولى عليه ان يفعل ذلك خارج المسجد. حمل هؤلاء شكواهم الى دار الفتوى، ثم زاروني في المنزل متهمين انني ضد الدعوة والاسلام. يؤكد فارس انه انطلق في موقفه من المذكرات والتعاميم التي تصدرها دار الفتوى.

يؤكد عبود انه في القرعون لم تنشأ حركة إخوان مسلمين كي تتربّى هذه المجموعة على يدها... حدث ذلك انطلاقاً من المهاجر اولا، وفي بيروت في الوقت ذاته. لقد جاء هؤلاء الى الاسلام كمسلمين مصلّين محبطين ثم تعمّقت الفكرة لديهم واتجهوا الى الاسلام لخلق خط جهادي. كانت فكرة الجهاد حاضرة بينهم. اعرف حالات جاءت من اصول بعثية وقوميين عرب وفتح و... خارج القرعون اعرف ماركسيين صاروا اسلاميين.

يتقاطع فارس وعبود في ان جو القرعون المتدين غير متطرف ويقبل الحوار ومنفتح على الآخرين. نقطة التقاطع هذه وادراكاً بأن المناخ الاجمالي للبلدة قادر على إعادة استيعاب الظاهرة سارت القرعون باتجاهاتها السياسية كافة في السعي لإخراجهم عندما القي القبض عليهم، الشيوعي مثله مثل الاسلامي والمسيحي. والحصيلة انه ما زال من اصل ثلاثة عشر متهماً فقط قاسم ضاهر مع المعتقلين الذين تتم محاكمتهم، فيما هناك فاران هما علي احمد حاتم ويحيى حسين حاتم. اما الباقون فإنهم في مواعيد المحاكمة يأتون الى المحكمة العسكرية ثم يغادرونها الى بلدتهم لدى الانتهاء من الجلسة، على قاعدة ان مجموعة القرعون اصلاً وبالاساس، ومع ان العديد من افرادها قد تدرب في جرود الضنية، الا انها لم تشترك في القتال، بل ورفضت القيام بأي اشتباك مع الجيش لتخفيف الضغط عن «اخوانها» عندما اندلعت المواجهة. اكدوا انهم جاهزون لقتال اسرائيل، اما الجيش اللبناني فلا. فكرة الدولة الاسلامية لم تخطر ببالهم... كانوا يعتقدون ان هذه الاسلحة التي يتم تخزينها انما هي لقتال اسرائيل او اميركا... كما يقول عبود.

يلحّ فارس على رفض ابناء القرعون الاقتتال. لقد ظهرت اسماؤهم في التحقيقات وتم إلقاء القبض عليهم ومصادرة اسلحة. كانوا كأي وطنيين وقوميين مملوئين في مغترباتهم، سواء في كندا وسواها بضرورة دعم العمل الوطني ـ الاسلامي المقاوم، وانطلقوا من حس وطني وإنساني وواجب في دعم الانتفاضة واسنادها... لذلك اخلي سبيلهم جميعا مع استثناء واحد... نحن نطالب القضاء اللبناني بالاسراع في محاكمتهم، كي يعاد الاعتبار للبريء. وعقاب المتورط... من دون شك مع العدالة التي تستطيع ان تفصل، ولنا ثقة بالقضاء. لا شك ان بقاء المحاكمة الى ما لا نهاية يعيق الكثير من حرية الاشخاص المتهمين، لذا لا بد من تكثيف الجلسات وصولا الى الفصل النهائي وإصدار الاحكام العادلة.

يبقى السؤال الملحّ هو التالي هل كان لهذه المجموعة ارتباطات خارجية؟

بالتأكيد ظهر أكثر من خيط يربط بين ضاهر وحاتم مع ابي محجن، لكن ما يتعدى ذلك يمكن تقويضه بسهولة. لقد سافر حاتم الى افغانستان وقاتل فيها، كما سافر اليها ضاهر لاقناعه بالعودة ونجح... كما ان هناك صلات وثيقة مع مغتربين في كندا او سواها... لكن لم يثبت من خلال التحقيقات ومحضر القرار الاتهامي ما يؤشر الى «القاعدة»... كانت العلاقة واضحة مع مجموعة الضنية، وهذه تمّ نسجها من ابواب افغانستان وكوسوفو... وهي الابواب التي فتحتها الولايات المتحدة الاميركية والانظمة العربية. اما باب فلسطين فيبدو ان هؤلاء الاصوليين قد فتحوه بالكيفية التي ارادوها ورأوها، دون ان يعني ذلك مساهمة وازنة في نصرتها خلافا للكلام الكبير. فقط كانوا يتحسبون الى نجدتها فاشتروا الاسلحة، وخزنوها ونقلوها الى ابي عائشة في الضنية. قد يكون لأحدهم علاقة خارجية، لكن المجموعة بجملتها كانت تنسج رؤياها ومواقفها «الاسلامية» انطلاقاً من بيئة القرعون وفرادتها. وهذا ما دفع بالقضاء الى تبرئة افرادها، مع استثناءات تنتظر الاحكام او إلقاء القبض على الفارين ومحاكمتهم.

الشيخ ماهر حمود وعلي الشيخ عمّار في قراءة للحركة والتحديات التي تواجهها

لا يعبر النمو العددي الذي تشهده التيارات الاسلامية في دول العالم الاسلامي او العربي الا عن ازمة. ازمة داخل هذه التنظيمات، التي تصل العلاقات بين بعضها الى ما يشبه الحرب المعلنة. حرب بالسلاح وحرب بالفتاوى والعصبية. من الصعب او المستحيل رؤية اشكال طبيعية من العلاقة بين اكثرها على صعيد بلد واحد. ناهيك بالتنظيمات التي تنشأ مناطقيا وتبقى في هذا الاطار لا تتعداه. يضاف الى ازمة الداخل ازمة العلاقات مع المجتمع الذي تعمل ضمنه. بالطبع لا يكفي العودة الى الاجتهادات للقول ان افكار هذه المجموعات قادرة على الرد على التحديات. وهي تحديات حقيقية، طالما ان المرجعية الفقهية لا تقدم اجوبة كافية وحقيقية على المرحلة وقواها. سواء تمثلت بالسلطات او ما يسمى المجتمع المدني او الاهلي والعلاقات بين كل منهما. لا الاكتفاء بالامارة او الارشاد او مجلس الشورى وقائمة المستشارين تكفي للقول ان البرنامج جاهز... اكثر من ذلك لا اجوبة سياسية او اقتصادية على ما يفرزه الواقع في عصر العولمة والعلاقات بين الداخل والخارج ودرجات التطور.

هناك ازمة يواجهها هذا التيار بفصائله في كل مجتمع، وفي المجتمع اللبناني تبدو الازمة اشد وقعا على ضوء المعطى التعددي - الطائفي. لا مشروع الدولة الاسلامية، ان كانَ هناك من يقول به، فعلي، ولا مقولة الجهاد لها مقوماتها بعد ان تحرر الجنوب، وتوقف او «تقطع» القتال من اجل الخلاص من الاحتلال الإسرائيلي. قبلا طرحت فكرة الدولة الاسلامية من جانب «حزب الله» في مرحلة ما قبل التسعينات، ثم ما لبث ان طواها لمعرفته باستحالتها. الآن تأتي بعض التنظيمات السنية السلفية بالوصفة ذاتها. واقصى ما تستطيع الوصول اليه التعبير عن توقها لممارسة سلطة ان لم تكن على خارجها فعلى صفوف ومجموعات الاتباع والمريدين. ثم كيف يمكن ان تنسج هذه التنظيمات علاقات تتعدى الطائفة الى سواها. التجربة النبوية هنا لا يمكن تطبيقها في القرن الحادي والعشرين.

والحديث عن الاخطار لا يعني فاعلية في مواجهتها، مع ذلك فإن عمليات الشحن قائمة على قدم وساق... ودوما في مناخ التأزم الوطني - القومي - الاجتماعي من خلال منوعات الحرمان والغبن والتهميش تنشأ مجموعات صغيرة تنفصل عن قوى سابقة وتلتحق بخطاب اكثر عنفا، تارة يمثله اسلام جزائري او مصري او افغاني و... والمجموعات المذكورة التي تستهدي ويستهويها العنف تحت مقولة «الجهاد» و«قتال الكفرة» و«المرتدين» و... تستطيع فقط ان تنمو في ظل التوجه نحو انشاء «الوحدات المسلحة والمدربة» الصغيرة والهامشية التي تحترف القتال وعمليات الاغتيال.

والمؤكد ان هناك توجها نحو اعتزال الجماعة كمرحلة قبل الثورة عليها، وسعيا نحو اعادة الخلافة الاسلامية وتطبيق «احكام الشرع السماوي» بديلا عن القوانين الوضعية، سواء اسميت برلمانية او ديموقراطية او... واللافت في هذه التيارات السنية ان «الاجتهاد» الآن لديها يتم حتى حدود الانفلات، نظرا لعدم ورود ما يسمى بـ«المرجعية» المعمول بها لدى الشيعة. وهكذا يتحول كل شيخ وإمام مسجد الى مرجعية، له من يقتدي به في «السراء والضراء» يأتمر بتوجيهاته. تعليماته نافذة لدى الاتباع، الذين هم في معظمهم لا يملكون ثقافة مدنية او دينية حتى يستطيعون الاهتداء والاستدلال بها.

وكل ما في المرحلة يشجع على الانتعاش العددي على الاقل وبالتالي احداث المزيد من التأزم. وهكذا تنتكس ادوار الطائفة السنية لبنانيا من المشاركة في صياغة الاسس التي قام عليها الكيان، كما عبرت عنها تسوية العام ١٩٤٣ الى الانقلاب عليها عبر منوعات اقربها الى الامكان مجرد اوهام... هذا من دون ان نتحدث عن تلك المجموعات التي تدار بوسائط استخبارية. وهكذا اختلط «الحابل بالنابل»، التقليدي القديم والتأسيسي المعتدل بالجديد المنفلت من الضوابط، والمدمر لذاته والآخرين.

تقدم «السفير» قراءتان للتيارات الاسلامية السنية. الاولى منهما من خلال كل من الشيخ ماهر حمود وعلي الشيخ عمار. وهي قراءة اسلامية ـ سنية بطبيعة الحال نظرا للدور الذي يلعبه الاول في صيدا ومحيطها ولموقع الثاني كنائب للامين العام للجماعة الاسلامية. اما القراءة الثانية فهي قراءة منالخارج ويتولاها كل من الدكاترة: خالد زيادة، احمد الموصللي وشوكت إشتي. والمحامي رشيد درباس. ولنبدأ بالقراءة الاولى:

****

لا ينكر الشيخ ماهر حمود طابع الأزمة التي تعيشها الحالة الإسلامية سواء في دول العالم الإسلامي أو العربي أو لبنان. إذ ليس أمرا بسيطا محاولة التمييز بين الحالة في لبنان أو مصر أو أي بلد عربي أو إسلامي آخر. ومصدر التمييز أو محاولته على الأقل كما يرى حمود لا يعود الى الأحجام واختلاف التفاصيل السياسية اليومية، بل أمر آخر، إذ تكاد تكون هي ذاتها في كل مكان وتعبر عنها بالشكل التالي:

أزمة خارجية وأزمة داخلية. الداخلية تتعلق بالأسئلة التي لا تجد جوابا فقهيا أو سياسيا واحدا، ومنها ما يدور حول قضايا ملحة مثل الانتخابات وجواز المشاركة مع الأنظمة. أما الأكثر إلحاحا فهو ذلك الذي يتناول المواقف العملية من نوع: الحوار، المعارضة، العنف أو المصالحة. هذه الأسئلة وسواها هي التي تجعل الانقسامات في الحركة الإسلامية أمرا مفهوما. أكثر من ذلك فإن مسألة العلاقة مع القيادة، الشورى وهل هي ملزمة النتائج أم غير ملزمة، قيادة فردية أم قيادة متعددة، وإضفاء الهالة على القائد أم معاملته كفرد عادي.. تدخل في قائمة الأسئلة وتعبر عن مناخ الأزمة.

يقرأ عمار جملة أشكال الحركة أو الحالة الإسلامية أيضا بالارتباط مع السياسي ـ الصراعي، وتحديدا من خلال ما جرى ويجري في كل من فلسطين، أفغانستان، الشيشان وما يتعرض له العراق. ضمن هذا السياق يشعر المسلمون أنهم مطالبون باعتماد موقف، إذ إن هذه الأوضاع هي قضايا تعني الأمة. الحركة الإسلامية أمام هذه المسائل تحاول أن تلعب دورها إن على الصعيد السياسي أو الإعلامي عبر اتخاذ مواقف صريحة وواضحة، أو حتى على مستوى المواجهة العسكرية المباشرة. كما يحدث في فلسطين وكما حدث في أفغانستان، وكما هو متوقع الحدوث في العراق. وأرى أن القوى الإسلامية والوطنية مطالبة باتخاذ موقف، لا سيما في ظل افتقاده من الحكومات العربية. إذ إننا إذا أحسنا الظن بها، قلنا إنها تتعاطى بشيء من الروية والعجز. وعليه تشعر القوى الشعبية بأنها مطالبة بالقيام بواجبها إزاء ما يحصل في هذا العالم الإسلامي.

الاخوان المسلمون

يصف حمود كل التنظيمات الإسلامية كبيرة وصغيرة، مسالمة أم غير مسالمة، واقعية أم مغامرة، بأنها تعود في جذورها الى حركة الاخوان المسلمين. ولا يستثني حمود هنا بعض الحركات الشيعية كحزب الدعوة العراقي أو حتى حركة الإمام الخميني، الذي تأثر بحركة الاخوان، لا سيما بعد أن تمت ترجمة كتب سيد قطب وحسن البنا الى الفارسية في وقت مبكر. لكن هذا التأثر لا يعني الاستنساخ كما يوضح حمود. وعليه لا بد من التوقف مليا عند حركة الاخوان المسلمين وفكرهم الذي نشره حسن البنا شخصيا، ليس فقط من خلال كتبه وخطبه بل من خلال ممارسة عملية امتدت منذ العام ١٩٢٨ في الإسماعيلية بمصر الى العام ١٩٤٩ في القاهرة تاريخ استشهاده على درج جمعية الشبان المسلمين. هذه الفترة وهي هنا ٢١ عاما أتصور أنه ينبغي التركيز عليها خصوصا الإنجازات التنظيمية التي حققها البنا.

يقول: أتصور أنه في نظرة فاحصة محايدة تنطلق من الإيمان بالإسلام ولا تنطلق من نظرة يسارية أو علمانية، لا نملك أي انتقاد يمكن أن يوجه الى البنا وحركته في انطلاقتها، إذ إن فكره يتضمن نظرة شاملة للإسلام يبتعد به عن مواطن الخلاف، ويركز على التعبئة الإيجابية من حيث النشاط في المجتمع والعلاقة مع غير المسلمين والتفاعل العام. إذن لم يكن البنا يعيش في حال تحجر ضد الآخر. وبرأيي أنه كان يحمل مستقبلا واعدا للأمة وليس فقط لمصر. لكن المقدر الإلهي كان أن يستشهد وهو في الثالثة والأربعين من عمره. والبنا متقارب عمريا مع الإمام الخميني، إذ كلاهما ولدا في أوائل القرن. وقد أنتجت حركة الخميني وهو في السادسة والسبعين من عمره. ومن خلال نظرة افتراضية يتبين أن حركة البنا كان يتوقع أن تنتج بعده بعشرين عاما.

يتابع حمود قائلا: استشهاده المبكر أدى الى تعدد النظرة للأمور. فمثلا فإن النظام الخاص الذي كان في جهاز الحماية والأمن السري لعله تفلت من القيادة التي أتت بعد البنا. وأؤكد على كلمة لعل، وهي التي أدت الى الاصطدام مع عبد الناصر، مما طبع العلاقة في النصف الثاني من القرن العشرين بطابع الخصام بين الإسلام والقومية أو بين الإسلام والأنظمة. أقول الإسلام وليس الاخوان المسلمين وأعني ما أقول.

وألاحظ أن فكر الاخوان يحاول كثيرا تجنب الشخصانية وألا ينسب نجاحه النسبي الى شخصية فلان أو فلان، لكن هذا وهم.

فالقيادة بمؤهلاتها تعطي النصر أو تضيعه. هنا أعود فأقول إن أي ناقد منصف لا يستطيع أن يوجه سهما صائبا الى فكر الإمام البنا والاخوان لدى الانطلاقة.

اما مرحلة الصدام التي اتت بعد استشهاده بحوالى ٤ سنوات فقد ولدت حالة من التطرف او التخلي، اصبحت موضع نقاش لا يزال يطبع الحركة الاسلامية أمامها الى يومنا هذا، ويطرح اسئلة لا نجد جواباً عليها. وأسمح لنفسي ان اجـــزم انه لو عاش البنا ما حصل الصدام مع عبد الناصر ولا مع نظـــام آخر، ولكان رضي بتأجيل الوصول الى الحكم عقوداً من الزمن حتى تنضج الفكرة عند الناس وتتوسع انتشاراً.

خريطة الإسلاميين

يعتبر عمار ان المواجهة مع العدوان الغربي المتمثل في الهجوم الصهيوني وكيانه امر طبيعي. وهذه مهمة الحركة الاسلامية حتى لو اتهمت من هذه القوى بأنها عنيفة. لا بد وان نربط هذا مع واقع عجز الانظمة، اذ ان الحركة الاسلامية مطالبة ان تقبل ما يقدم لها من جانب السلطات ايضا. والا فانها تعتبر مطاردة او متهمة. لكن رغم كل هذه الضغوط فالحركة صامدة وهناك اصرار على القيام بدورها وتحمل مسؤولياتها، سواء تمثلت الاعتداءات عليها بما تتعرض له من داخل او خارج الدول الاسلامية او الحكومات، والمتمثلة بالحظر والمطاردة وادعاء انها احزاب غير مرخصة او غير شرعية.

ولكن السؤال هو ما هي الخريطة العامة للحركة الإسلامية كما يراها حمود؟

يقول الشيخ ماهر حمود:

هناك مجموعة رئيسية تقليدية الى حد كبير تتبنى اشكالا من التنظيم استنبطت منذ الخمسينات من القرن الماضي، وقد تجاوز هذه الاشكال الزمن. المعنى ان هذه التنظيمات تعتمد الشكل التنظيمي الذي اعتمدته حركة الاخوان المسلمين، الامر الذي تستند فيها التجربة على ان الاسلام كان غريباً في المجتمع، يصارع ليبقى ولينتزع فرداً من مجتمع كان مثقلا بالافكار اليسارية التي حاولت الغاء الاسلام. وتتضمن ولو بشكل مغلف الالحاد كشرط للنصر والعدالة الاجتماعية ووحدة الامة. اضافة الى الانبهار بالغرب. وكان الاسلام يفتقد التجربة الحقيقية، نحن الان في منطلق القرن الحادي والعشرين في مرحلة مختلفة تماماً. الاسلام منتشر، التدين افضل بعشرات المرات مما كان عليه في الخمسينات والاربعينات وحتى الثلاثينات. الاسلام اليوم كعقيدة ليس له منافس حقيقي عقائدياً بين المسلمين، بمعنى انه لا تطرح اية ايديولوجيا بديلة، كاليسارية والقومية. اقول هذا رغم الازمات الفقهية والسياسية والفكرية.

اما المجموعة الثانية فهي الحديثة، وأعني هنا كتلك التي مثلتها المقاومة في لبنان والانتفاضة والصمود في فلسطين. وهذه وجدت ان الشكل التقليدي الذي اعتمدته حركة الاخوان المسلمين مستحيل ولا يتناسب مع المرحلة بسبب آليته الضيقة. وهذا ما سبب قبلا خروج الجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد عن قيادة الاخوان وتبنيهما اساليب تختلف عن التقليدية في تحقيق الاهداف الاسلامية.

بالطبع هنا يتابع حمود، التجارب كثيرة، وحركة التوحيد خرجت من كوادر الجماعة، ومنهم الشيخ سعيد شعبان نفسه، وهذه تعتمد على جمهور متدين وأكثره مخضرم، بعضه كان كوادرا في التيارات اليسارية والفلسطينية. وأذكر مرة انني سمعت حواراً بين الشيخ سعيد وأحد كوادر الجماعة الذي قال له: «يا شيخ عندنا الكوادر وعندك الجمهور اذا جمعنا هؤلاء مع هؤلاء، انشأنا حركة اسلامية رائدة».

التجربة هذه تتكرر في لبنان ومصر، ولعلها بشكل او بآخر تعبر عن موضوع اسامة بن لادن وفي العديد من المجموعات الصغيرة التي قد تصبح متطرفة بسبب الضغط الخارجي والاتهامات المؤلمة من جهة، وعجز الحركة الاسلامية الأم عن استيعاب التطورات الجدية في الامة وعجزها عن استقبال افواج المتدينين حديثاً.

العجز والتطرف

يرى عمار انه لا بد من تقييم ظاهرة العنف في الحركة الاسلامية وتحديد كم هي صائبة او خاطئة في مواجهتها مع الدول او القوى التي يقال انها عظمى والتي تعمل على اخضاع الشعوب والدول الاسلامية. حتى القوى الاسلامية التي هي احزاب مثل الاخوان المسلمين والحركة الاسلامية في لبنان لا مشكلة لديها مع السلطات، فالوضع معقول ان بالعلاقة مع القوى الاخرى او حتى على مستوى الوضع القانوني. هناك مؤسسات وجمعيات مرخصة، والسلطة او الدولة لا تتخذ موقفاً من مثل هذه التنظيمات او الجماعات. هناك دول ثانية بالعكس، اغلب الدول الاسلامية تمنع حزباً ان يعمل على اساس اسلامي كما في مصر وتونس او

تركيا. هذا المنع من شأنه ان يؤدي الى مشاكل بين هذه القوى الاسلامية التي تؤمن بحقها في ممارسة نشاطها وعملها السياسي رغم هذه الحكومات التي تصر على منعها ومطاردتها، مثل هذه القوى ليست بمنأى عن المشكلات التي تفتعل في وجهها الى درجة ان بعض التنظيمات الاسلامية التي لم تحاول ان تفتعل مشاكل مع السلطات القائمة، تفتعل هذه السلطات معها مشكلة.

وقد حدث مثل ذلك في تونس مع حركة النهضة الاسلامية وزعيمها الشيخ راشد الغنوشي، وهو الداعي الى الديموقراطية والتعددية. لكن المشكلة ان «رصيده كبير» وهو ما دفع بالسلطة الى حل الحركة واعتقال رموزها.

بدوره، الشيخ ماهر حمود يعتبر التطرف، أي الذهاب نحو الأبعد، نزعة طبيعية لدى الإنسان، في القرآن لفظة تعبر عن ذلك هي الاستعجال. الإنسان مفطور على استعجال النتائج، وهذا واضح من النص القرآني والسنة النبوية. لذلك يأتي العلم والعقيدة ليطالبا بالتخفيف من هذه الحماسة والاستعجال. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الشدة على الخصم من طبيعة البشر. وهناك أمثلة عالجها القرآن بهذا المعنى لا سيما بعد مصرع عم الرسول حمزة واتجاه بعض المسلمين الى اعتبار ان لا حل مع المشركين سوى القتل. لكن أكثر هؤلاء المشركين أصبحوا دعاة وأبطالا للإسلام بعد عشر سنوات او ما يشابه.

اعني ان المتدين حديثا غير المؤهل فقهيا لتبني الرأي او اصدار فتوى، إذا لم تتوفر له الظروف الطبيعية لتلقي العلم الشرعي والتوحيد السليم سيتحول الى متطرف سريعا، خصوصا على ضوء فشل التجارب الكثيرة للأمة ككل والصورة البشعة لأكثر الأنظمة، إضافة الى الكبت وحبس الانفاس الذي يمارس على الإسلاميين دون غيرهم في أرجاء العالم الإسلامي كافة.

من هذا المنطلق أنا أفهم تماما لماذا تنتج الاحداث متطرفين. واحمل العقلاء والعلماء الحقيقيين والدعاة المخضرمين مسؤولية عدم رعاية الاجيال التي تقبل باندفاع شديد ومميز نحو الاسلام.

السنة والشيعة في التجربة

رغم كل الضجيج، وتحميل المسؤولية تارة للقوى الغربية العظمى وطورا للأنظمة والحكومات المحلية، فإن المؤكد ان الحركة الإسلامية لم تنتج تجربة سياسية ناجحة مفردة، لا يتعلق مثل هذا الحكم بلبنان، بل يتعداه الى ما شهدته الدول الإسلامية الأخرى، علما ان التجربة الأكثر فشلا هي تجربة حركة طالبان في أفغانستان، وبالتأكيد معها تنظيم القاعدة. ومثل هذا يطرح مسألة الفكر الديني، بما فيه فكر حركة الاخوان المسلمين التي انبثقت منها الحركات الإسلامية كافة تقريبا.

يصف الشيخ حمود سؤال مسألة الفكر الديني بأنه منطقي جدا. إذ المفترض ان الفكر السليم ينتج تجارب سليمة. وهنا يعود حمود الى ما انطلق منه حول القائد، إذ لو استعرنا من الفكر اليساري التمييز بين الماركسية واللينينية، باعتبار ان الأولى هي الفكر والثانية هي التجربة، وبغض النظر عما آلت اليه الماركسية اللينينية في يومنا المعاصر فإني اقول ان الفكر السليم لم تهيأ له قيادة بحجمه بعد استشهاد البنا، مع احترام القيادات التي تسلمت المسؤوليات في الحركات التي انبثقت عن الاخوان. ولعل هذا ينطبق أيضا على حركات أخرى. وهنا لا اتحدث عن القائد الذي يتمتع بمزايا كاريزمية خاصة فقط. بل اعني القائد الذي يمكن ان يتخذ خطوات سريعة تتأقلم مع المتغيرات لا ان يتجمد عند افكار عفا عليها الزمن.

يعرج الشيخ حمود هنا في اجابته على التجربة الإيرانية التي يراها تجربة ناجحة جدا من حيث انها أسست لعهد جديد في الاسلام. كان الاسلاميون قبلها يقدمون الصراع مع الشيوعية الملحدة على الصراع مع العدو المباشر الممثل بالأميركي وحلفائه، فأصبحوا بشكل طبيعي موضع اتهام بالعمالة. ومثل هذا انقضى بانتصار الثورة الإسلامية في إيران. إذن المتدين الشيعي باتت أمامه تجربة ناجحة، يعتبر نفسه بمثابة امتداد طبيعي لها، فيما المتدين السني لا يجد ذلك. وهنا اقول ان الثورة الإسلامية في ايران عجزت ان تكون نموذجا للجميع، او ان الحركات السنية عجزت عن فهمها وفهم ايجابياتها وايجاد سبيل للتواصل معها. بما يفيد من ايجابياتها ويتجاوز الخلاف المذهبي. وهنا اوجه النقد الى كثير من الحركات السنية التي ناصبت التجربة الايرانية العداء، ليس لسبب مذهبي كما يزعمون، بل بهدف التقرب من بعض الأنظمة العربية المعنية جدا بتشويه صورة هذه التجربة. ولا اعفي بعض المسؤولين الايرانيين وكوادر الثورة من رغبتهم في عدم التواصل مع كثير من هذه الحركات. لكن اظل اميل الى تحميل الحركات الاسلامية السنية حجما أكبر من المسؤولية في فشل العلاقة التي لو نجحت لتغير وجه العالم الإسلامي كله.

انطلاقا من هذا التحليل يعتبر حمود حزب الله بمثابة امتداد لثورية متطورة انتجتها الثورة الاسلامية الايرانية، ولم يكن هذا حال الجماعة الاسلامية، فيما حاولت حركة التوحيد ذلك ولم تنجح إلا في حدود ضيقة. وعليه فإن الجمهور السني بشكل عام وعلى ضوء الحرب العراقية ـ الإيرانية لم يكن راغباً بتمتين العلاقات. اختلف الوضع الآن، فقد أصبح حزب الله متكامل الصورة، فيما الحركة السنية لم تجد حلاً لمشاكلها في العلاقة مع إيران أو مناصبتها العداء، ولو وجدت حركة إسلامية سنية ناجحة لرأت في إيران امتداداً طبيعياً.

يختصر حمود بالقول: في الحركة الإسلامية مكانان محوريان هما مصر والسعودية، واذا لم يحصل تغيير جذري فإن النجاح

الحقيقي مستبعد في لبنان وغيره. فمصر تشكل الثقل البشري والمخزون الإسلامي الضارب في التاريخ، والسعودية لأهمية الحرمين وكنظام يرفع شعاراً إسلامياً ويطبق بطريقة خاصة جداً.

بن لادن

ينطلق عمار في رؤيته لظاهرة بن لادن من قراءة للضغط المزدوج الذي تتعرض له الحركة الإسلامية. ضغط الداخل وضغط الخارج. وفي كلا الحالين لا يرى ان الجهات الإسلامية هي المذنبة أو المبادرة لافتعال المشكلات. مثلاً في لبنان نحن الجماعة الإسلامية. عندما كان هناك احتلال شاركنا في مقاومته ونمارس عملنا في المجال السياسي والاجتماعي والتربوي بشكل عادي ولا مشكلة لدينا مع الحكومة والسلطة، مع اننا نعتبر أنفسنا جزءاً من التيار الإسلامي الواسع. أما القوى الإسلامية التي نسميها مجاهدة والتي اضطرت الى حمل السلاح في مواجهة الاعتداءات فلم تنج من التهم ليس من الاحتلال الإسرائيلي فقط بل من قبل بعض ما يسمى سلطات كما يحصل في فلسطين اليوم. والمقصود هنا حماس والجهاد الإسلامي.

يربط عمار ذلك بالاتهام الأكبر الذي توجهه الدول العظمى للحركة الإسلامية بالإرهاب والتطرف. هذا الضغط المزدوج حوّل بن لادن الى نموذج لدى فئات عمرية شابة، التي ترى المشكلات تتفاقم وعندما يأتي أحد ليتولى تجهيزهم يتحمسون. ومثل هذا حصل في الضنية، لكن المنحى الإجمالي هو وجود شريحة شبابية متحمسة للمواجهة على قاعدة الإسلام.

يصف حمود في حديثه عن الظاهرة بن لادن بأنه بطل لأنه أصاب هدفاً غير عادي، وقد اشعر الجميع اننا قادرون ولو جزئياً على ان نقوم بعمل ناجح يرفع معنوياتنا خاصة تجاه الأميركي الذي يدعم عدونا بكل أنواع الدعم، لا استغرب اذن حال التعاطف الجماهيري معه، بل استغرب العكس لو لم يحصل. لكن هناك أمور يجب ان تطرح وهي:

أولاً – إن بن لادن لا يطرح نفسه قائداً للعالم الإسلامي، ولا يطرح برنامجاً لذلك، ولم يتحدث في اشرطته الشهيرة عن أمر مشابه. بن لادن ردة فعل عاطفية. منظمة، مؤسلمة اذا جاز التعبير ضد التمادي في الظلم الأميركي على الأمة، لكنه من دون شك ومن خلال ما سمعناه لا يملك البعد الفقهي والسياسي والتنظيمي ليكون بديلاً عن الحركات الإسلامية الفاشلة.

ثانياً – هناك مشكل حقيقي في الموقف الفقهي من قتل الأبرياء، بمعنى القتل الجماعي كما حصل في حوادث الحادي عشر من أيلول. وبالاختصار لن نجد باباً فقهياً يفتي بالقتل الجماعي، إلا اذا كان هذا القتل هو السبيل الوحيد للدفاع عن أنفسنا، ومن الواضح ان هذا الشكل ليس هو الشكل الوحيد الذي نملكه، وبالتالي فإن بن لادن ان كان اعتمد على فقه أصيل فهو فقه الضرورة «الضرورات تبيح المحظورات» وليس الفقه الذي يؤسس الى مرحلة واسعة وعمل إسلامي بعيد الأهداف.

ثالثاً – في نظرة سريعة لخطاب بن لادن نرى انه اغفل امراً في غاية الأهمية، وهو لم يوجه دعوة الى مستمعيه لاعتناق الإسلام. وقد وصل الى مرحلة الشهرة ويمكن ان يصل صوته الى كل مستمع في العالم والى كل بيت. وكان يمكن ان يقدم لكلماته بدعوة الى قراءة القرآن والتفكير بمعجزاته والتأكيد على ان حال المسلمين العامة لا تمثل الإسلام. بمعنى ان المسلمين متخلفون ومتفرقون. لقد أعطى بن لادن انطباعاً ان الإسلام يريد أن يقتلكم اذا لم تخرجوا من الجزيرة العربية وتكفوا عن دعم اسرائيل. وهذا خطاب لا يشكل بديلاً عن خطاب الحركات الإسلامية ويعتمد فقه الضرورة فقط.

رابعاً – الوضع الأمني لبن لادن لن يجعله بالتأكيد مشروعاً عالمياً.

خامساً – ان ما نسب الى حركة طالبان من تشدد فقهي لا يمكن ان يساهم في إطلاق البدائل الإسلامية من خلال تجربة بن لادن.

يختم الشيخ حمود قائلاً: حتى لا أفهم خطأ، هذا بطل. لو كنت معه، وقلت هذا الكلام على المنابر عدة مرات، لقبلت يده، ولو استشارني لما أذنت له بشيء مما ينسب إليه، ولوجهت طاقته وايمانه العميق باتجاهات أخرى، وعلى رأسها المواجهة المباشرة مع العدو الصهيوني.

تبقى كلمة لا بد وأن تقال، وهي إن هذا الحديث المزدوج قد اجري على انفراد مع كل من حمود وعمار. وهو بالأصل دار حول صيدا ومخيم عين الحلوة، وقد اقتطفنا بعضه لدى الحديث عن عصبة الانصار. ولكن رغم المساحة التي أعطيت لهما الا ان الحديث الذي دار أكثر تشعباً. وما ورد فيه هو بعضه، وهو بالتأكيد يختلف عن حديث متسلسل له منطقه من خلال الأسئلة والأجوبة. لكن ضرورات التداخل التي املت التقطيع والتقاطع بين الحديثين حافظت على الأفكار التي عبرا عنها، وان كانت قد اختصرت في بعض الأحيان. علماً أن ما هو وارد هنا هو القسم الأول من الحوار الذي دار معهما في صيدا.

قراءة من الخارج
لمفاصل قوة وإعاقات تجربة «الصحوة»

بعد أن قدمنا قراءة كل من الشيخ ماهر حمود ود. علي الشيخ عمار للتيارات الإسلامية، وهي قراءة من الداخل، لا بد من تقديم قراءة لهذه التيارات أو الحركة من الخارج. أهمية هذه القراءة أنها تفتح أساسا على النظري ـ الفكري، كما على السياسي والاجتماعي. ومن خلال تدقيقات تبدأ من حركة الأخوان المسلمين في مصر، وتمر على «التكفير والهجرة» وصداها في لبنان، كعصبة الأنصار وجماعة الضنية.

يشارك في هذه القراءة كل من أستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة الأميركية د. أحمد موصللي، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية د. خالد زيادة، الأستاذ المتخصص في علم اجتماع الأحزاب د. شوكت إشتي ونقيب المحامين السابق في الشمال رشيد درباس. أبرز ما أكدته الآراء التي أدلوا بها أن الظاهرة اللبنانية ليست فريدة في بابها، إذ يشترك فيها مع سواه، علما أن تنوعه التعددي يجعل مشروع بعض الحركات الإسلامية السنية في إقامة الدولة الإسلامية تفجيريا. وان هناك فوارق بين الحركة الإسلامية السنية والحركة السياسية الشيعية، لا سيما في ممارسة حزب الله ومقاومته. ويضيء المشاركون على الوضع الاجتماعي الذي انطلقت منه هذه المجموعات، لا سيما المتطرفة منها، إذ نشأت ونمت هذه في المناطق الأكثر هامشية وتخلفا على الصعد الخدماتية والمعيشية. علما أن تنظيمات الإسلام السني التقليدي نمت بين عائلات مدينية وطورت حضورها من خلال مؤسسات تعليمية. وعليه لم يكن غريبا أن تعتمد الأخيرة الممارسة الديموقراطية والاعتراف بالدولة والنظام والدخول في المعترك الانتخابي لإثبات وجودها السياسي بينما تتجه الثانية نحو الانعزال عن المجتمع و«الثورة» الانتحارية عليه.

على أن هناك نقطة هامة تتعلق بالاستعمال السياسي لهذا التيار، بدءا من نشوئه، مرورا بالصراع الذي خاضه في مواجهة الناصرية والاتحاد السوفياتي والمعسكر والفكر الاشتراكي.. علما أن هذا المعطى تعرض للانقلاب في أعقاب عودة الأفغان العرب من رحلتهم «الجهادية» من أفغانستان وباكستان.

ختاما لا يمكن حصر الآراء والأفكار التي يعرضها هذا الحوار عبر مفاصل أساسية تتناول جوانب من هذه التيارات وبما يفتح نقاشا أوسع مما ورد، باعتباره إيغالا يطال تجربتي كل من اليسار والحركة القومية أيضا.

****

يربط د. خالد زيادة الانقلاب الذي حدث ودفع بالحركة الإسلامية الى البروز بالمزاج الذي ساد المنطقة العربية في أعقاب معاهدة كمب ديفيد وثورة الإمام الخميني في إيران و.. وعليه فإن لا طرابلس ولا سواها بمثابة استثناء. إذ يجب النظر إليها من خلال الجمع بين الخطوط العامة للوضع العام مع الوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي تعاني منه المناطق الأكثر فقرا في المدينة.

ويعتبر المحامي رشيد درباس أن الدفع الأقصى الذي عاشته الحركة الإسلامية حدث مع انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية. وقد سبق ذلك هزيمة الحركة القومية ذات الطابع التقدمي اليساري، التي قادها الرئيس عبد الناصر، الذي اكتشف استحالة تحقيق التنمية في ظل تكدس الثروة في المناطق النفطية مقابل الكثافة السكانية والعمق الحضاري في مصر وسواها. لذلك عمل من أجل تحقيق نوع من التكامل ذي الأبعاد العربية وهو ما وقف ضده الاستعمار بشكليه القديم والجديد. وبغض النظر عن مدى نجاح أو فشل الثورة الناصرية، فقد هزمت، مما أدى الى استشراء القطرية. ومن دون شك كان من وسائل الإجهاز على هذه الثورة إحياء الروح الدينية التي قمعت في ذلك الوقت، ووضعت في موقع التناقض الى حدود الذبح. القوى الإسلامية وبتشجيع من الاستعمار والرجعية، لعبت دورها الاستقطابي من خلال جذب الناس الى الخلاص الأخروي، بدل التفكير بكسر معادلة التخلف عبر التنمية قطريا وقوميا.

ويؤكد د. أحمد موصللي أن الظاهرة السنية في لبنان هي ظاهرة عالمية تمتد في كل الدول الإسلامية، أي انها تتخطى الحدود

القومية العربية. إذ تشمل: باكستان، آسيا الوسطى، ماليزيا، أندونيسيا وحتى الصين. هذه الحركة يمكن اعتبارها حركة هوية متجددة تسعى الى دور أساسي في النظام العالمي الجديد وترفض بالتالي تهميش الإسلام. هذه الظاهرة برزت في آخر موجاتها مع سقوط الاتحاد السوفياتي ومنظومته، مما أدى بالقوميين العرب والاشتراكيين الى التحول نحو الإسلام الحضاري ومنظومته. وعليه فإنه لا يمكن دراسة الحركات الإسلامية من منطق الدولة القومية فقط، بل تتعدى رؤيتها للعالم الواقع المحلي. وهي بالتأكيد حركات تسعى الى الخروج من الواقع المهزوم والمأزوم عبر إعادة صياغة لرؤية الإسلام في القرن الواحد والعشرين ودور القيم الإسلامية في بناء الهوية.

ويرى د. شوكت إشتي أن هناك فارقا جوهريا بين حزب الله والحركات الإسلامية السنية. ففيما نجد لدى الأول قضية عبر عنها خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وما يزال يعبر عنها من خلال دعوته الى المقاومة، نجد أن الجماعات الإسلامية السنية ضائعة، فلا هي في السياسة ولا في المجتمع. أكثر من ذلك فإن هذه الجماعات تعمل وكأنها متهمة. حزب الله متهم الآن بالعنف، إلا أن له قضية، سواء كانت مزارع شبعا أو دعم الانتفاضة تمثل تغطية لخطه. فيما القوى الإسلامية الأخرى خافت وانعزلت مما أفقدها قدرتها العالية على الاستقطاب. ثم إنها لو كانت تواكب قضايا اجتماعية، لكانت الناس التفت حولها. دوما تغيب عنها القضية التي تجذب الناس. لذا تبدو عارية، علما لو أنها التزمت الجانب الاجتماعي كمدخل للتعبئة لكان يمكنها حماية نفسها.

المجتمع وتكفيره

يميز د. موصللي بين نوعين من الحركات الإسلامية. الأولى منهما مؤلفة من حركات إسلامية أساسية كالاخوان المسلمين وجبهة الإنقاذ الجزائرية وحركة النهضة التونسية. وهذه لها مشروعها السياسي القائم والدائم. وتحاول على قاعدته اختراق البنى القومية والوطنية والتوصل الى السلطة عبر الممارسة الديموقراطية والقبول بالتالي بسياق الدولة الحالية.

أما الثانية فهي تضم الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، التكفير والهجرة في مصر وعصبة الأنصار في لبنان وما شابه.

وهذه خروج عن الحركات الإسلامية الأساسية وليست مجرد امتداد لها. معظم هذه الحركات تكفر الحركات الأولى. عمر عبد الرحمن مثلا يكفر الاخوان المسلمين. وقد ارتبط قيامها بفكر جهادي سلفي بعد دخول الاتحاد السوفياتي لأفغانستان وقيام الدول الإسلامية الكبرى مثل السعودية ومصر وباكستان بدعم حركة جهاد ضد غزو أجنبي يستهدف العالم الإسلامي. فكان هناك تدريب على القتل على أساس الكفر والإيمان. عند عودة المجاهدين من أفغانستان، تحولت عملية التكفير نحو الأنظمة المحلية والولايات المتحدة الأميركية وهي الدولة القائمة على أمن هذه الدول. وأعتقد أن نموذج أسامة بن لادن يعبر عن هذه الظاهرة التي تقوم على تكفير الأنظمة والمجتمع ومحاولة إقامة مجتمع إسلامي جديد.

يفسر إشتي تكفير المجتمع بأنه حال من الرفض، باعتبار أن كل شيء فاسد في المجتمع، لذا يعودون الى المجتمع الأصلي الرسالي الذي نشأ فيه الإسلام الأول. ومن المعلوم أن فكرة الأخويات بدأت بطريقة راقية لدى حسن البنا، لكن هذه الجماعات الخارجة من منابت هامشية ومهمشة، تنطلق من رفض كل شيء، لا تملك قدرة على المساومة، ولا تعمل على الإجابة والتفاعل مع عواطف الناس في تحسين أوضاعهم، لأنه ليس لديها ما تقوله على الصعيد الاجتماعي، لذا يشعر المنضوون في إطارها بأنهم رسل ويغالون في رفض المجتمع كي يكونوا مقبولين أكثر لدى الله.

يؤكد درباس أن الحركة القومية نشأت نتيجة تفاعل التيار القومي مع التيار الديني، الذي أرساه أعلام النهضة الفكرية من أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا و.. بالطبع كان هناك تيار علماني له رموزه أيضا، وكانت التظاهرات تنطلق من المساجد. لم يكن هناك تصادم بين الحركات الوطنية والقاعدة الدينية، وكان المعطى التحرري جزءا من الهوية العامة التي شملت كل المواطنين، مسلمين، مسيحيين ويهودا أيضا. التحول الذي نعيشه الآن حدث بفعل قوى الاستعمار والانهيارات التي شهدها المعسكر التقدمي ـ القومي. اللافت مثلا أن مجلة «الأخبار» الناطقة بلسان الحزب الشيوعي اللبناني تعاطت مع إعدام عبد الناصر للاخوان المسلمين بوصفهم شهداء مصر. الناصرية بصعودها جمعت أقصى المتنورين مع أقصى المتدينين، تم ذلك عبر الإلحاق السياسي بعد التصفية. ثم عندما مات عبد الناصر وجاء السادات استعان بهم للقضاء على التركة التي آلت إليه، بما هي التجربة التقدمية وطروحاتها.

يضرب زيادة مثالا على ما عاناه التيار الإسلامي خلال المرحلة الناصرية فيقول: طرابلس كانت أكثر ناصرية وعروبة. استمر ذلك حتى العام ٧٠ تقريبا. احتضانها للمقاومة بعدها يعبر عن نزعتها العروبية. لكن مزاجها الإسلامي كان موجودا، وهو إسلام منفتح لا ينغلق على ذاته ولا يكفر الآخرين. قيادات الجماعات الإسلامية في طرابلس هم من أبناء المدينة، لكنهم كانوا في فترة الناصرية مضطهدين، إذ لم يكن لديهم جامع، يطلقون من على منبره مواقفهم، كما كانوا غير مرحب بهم في المنتديات الثقافية، وعلاقاتهم ضيقة.. حدث ذلك تناغما مع الحملة التي أطلقها عبد الناصر ضد الاخوان المسلمين.

لبنان والعرب الأفغان

يصف درباس أحزاب اليسار اليوم بأنها مجرد أسماء لمسميات ضامرة جدا. علما أن الحركة اليسارية في لبنان قادت وأطلقت

المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإسرائيلي حتى العام ١٩٨٥. كان معظم الشهداء في حينه هم من الحزب الشيوعي، منظمة العمل الشيوعي والبعث. كانت هذه القوى تسيطر على عقول الناشئة ولكن التراجع الذي أطلقته هزيمة العام ١٩٦٧ كان لا بد وان يصل الى لبنان فانتقلت الحركة الإسلامية من جمعية وناد الى حالة سياسية استطاعت أن تدفع بنواب الى المجلس النيابي، إلا أنها الآن تبدو وكأنها غادرت مرحلة النهوض، لتدخل في هشاشة واضحة للعيان.

ترافق ذلك مع عودة «الأفغان العرب» الى مصر، السعودية، الكويت، الجزائر واليمن، وانقسامهم الى فئات. فمنهم قسم شارك في الحروب الداخلية، وجزء عاد ليمارس حياته العادية. لكن لبنان بالأساس لم يشارك بشكل كبير في حركة الجهاد في أفغانستان. وبالتالي ذيول إنهاء الأزمة بالانسحاب السوفياتي برزت بحدة في كل من الجزائر ومصر. يتابع موصللي قائلا: لبنان لم يشعر بذلك إلا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، بسبب الضغط السياسي الأميركي. بالتأكيد لم تسمح سوريا بتطور الإسلام السياسي في لبنان وسوريا نتيجة موقفها من الاتحاد السوفياتي، وبالتالي فإن مشاركة جماعاتهما في «الجهاد» لم تخرج عن مساهمة الأفراد. وعليه فإنه ليس في لبنان حركات سنية تعمل على قلب النظام مثلها مثل ما شهدته الدول العربية. حتى أحداث الضنية لا يمكن أن تصنف على أنها تهدف لقلب النظام. كل الحركات ترفع بالتأكيد شعارات الدولة الإسلامية، لكن الواقع الإسلامي لا يسمح بمثل ذلك للحركات السياسية الأساسية. أنا لا أقرأ في حركة الضنية أكثر من مجموعة محاصرة معزولة عن المجتمع غير قادرة على التأثير في البيئة التي تعيش فيها.

والبيئة التي انطلقت منها مجموعة الضنية هي منطقة باب التبانة. زيادة يرى أن هذه المنطقة تعرضت لهجرات من الأرياف وعكار تحديدا حيث تأتيها الخضار والفواكه باعتبارها منطقة تجارية. التحولات بدأت منذ الستينات عندما أخذت هذه المنطقة تتخذ طابعها الشعبي واستمر فيها سوقا القمح والخضار، وكبار تجار الجملة. وعرفت هذه المنطقة في حينه توسعا كبيرا، يمكن تفسيره بأنه نتيجة للتحولات التي طرأت مع الاستقلال. حيث حدث المزيد من النزوح الى المدينة طلبا للعمل والعلم. حصل نوع من التوسع لم يراقب سوسيولوجيا، لكن نشأت في المنطقة المذكورة المساكن التجارية الشعبية وبسرعة لتلبية طلبات النزوح والكثافة السكانية، وصارت صفتها انها المناطق الأكثر شعبية رغم بقاء التجار فيها. ومنذ العام ١٩٦٧ صارت جزءا من الحركة المطلبية ـ الشعبوية، حيث كانت تنطلق منها التظاهرات دون أن يعني ذلك كثافة للأحزاب. في مثل هذا المناخ ظهر شخص له تأثيره هو علي عكاوي الذي كان يمثل القائد الشعبوي غير المنظم والمعبر عن أفكار بسيطة مثل الفقر والحرمان وتحلقت حوله مجموعة شبابية بوصفه شخصية محلية. بعد وفاته بدأ تأثير المقاومة الفلسطينية لبنانيا. كانت لأخيه خليل علاقة مع فتح. كانت الحرب الأهلية في بداياتها. وأدت هذه الى إفقار مضاعف. ولعل المظهر اللبناني للصراعات كان أبرز في محلتي التبانة والقبة في طرابلس مما أدى الى تدمير وتهجير. واستمرت هذه حتى ظهرت حركة التوحيد الإسلامية في ظروف الاجتياح الإسرائيلي، وكانت هذه الحركة عبارة عن عدة أطراف مما أدخل المناخ الإسلامي الى التبانة، مما عبر عن تحول من الأفكار الشعبوية اليسارية الى الإسلامية. وهذا لم يقتصر على التبانة على أي حال، بل ينحسب على سواها أيضا.

يعترف إشتي أن حركة التوحيد غير مدروسة جيدا، وذلك ليس بسبب التحولات التي طرأت عليها، بل لأن هناك جوانب إقليمية كان لها دورها البارز في مسارها. كما أن هذه الحركة قد استخدمت في فترة من الفترات في صراعات طرابلس المحلية. إيمان خليل عكاوي يختلف عن إيمان الشيخ سعيد شعبان والآخرين. كان متحالفا مع القوى الإسلامية ومتعارضا معها في الوقت ذاته. لكن ما يعنينا هنا أن الحالة أو الحركة الإسلامية تكرست منذ الستينات كحركة سياسية. قبلا كانت حالة وعظية تهتم بالإرشاد والتعليم الديني. بعد الستينات انطلقت نحو العمل السياسي، الذي بلغت ذروته في النصف الأول من التسعينات. لكن ما لاحظته على الحركة السياسية للإسلام السني أنه ينطبق عليها ما ينطبق على باقي الأحزاب لجهة مركزية التنظيم وغياب الديموقراطية، يستوي في ذلك التيارات السنية والشيعية التي تعتمد ولاية الفقيه.

الاستعمال السياسي

يؤشر درباس الى الاستعمال السياسي الذي تعرضت له الحركة الإسلامية بداية من جانب قوى الاستعمارين القديم والجديد لضرب الحركة القومية ـ التقدمية العربية، وهو أمر استمر بشكل أو بآخر حتى نهاية الحرب الباردة ليشهد العالم أحادية أميركية. عندها لم يعد للرجعية العربية وأميركا حاجة بهذه التيارات. وهكذا بدأ التفكير بالتخلص من هؤلاء الذين ساهموا في إسقاط الاتحاد السوفياتي.. إلا أن الأمر لم يقتصر على ذلك، إذ ظل العديد من التيارات الإسلامية في دائرة الاستعمال السياسي.

ويعتقد موصللي أن الدولة اللبنانية عندما قررت توجيه الضربة في الضنية كانت توجه رسالة الى كل الطوائف اللبنانية تقول إنه من غير المسموح به الخروج على اتفاق الطائف، خصوصا للقوى المسيحية المعادية للنظام والأكبر أثرا من مجموعة الضنية. من هنا فالمطلوب كان إبلاغ الجميع أن الوضع الداخلي في لبنان ممسوك وعلى الجميع أن يبقى تحت سقف النظام ولا يتعداه. ومن المعروف أن النظام في لبنان يقوم على مبدأ التوازن. ونعرف أن مجموعة الضنية لا تعترف بهذا التوازن. ولذلك لم ترتبط هذه المجموعة بحركة الإسلام السياسي في المنطقة. وقد وظفتها الدولة اللبنانية باعتبارها من أول الدول التي واجهت خلالها حركة الأفغان العرب. وقد تم التوظيف في العلاقة مع السياسة الخارجية الأميركية بعد الحادي عشر من أيلول للقول إنه لا وجود لمنظمات إرهابية

في لبنان، إذ تم القضاء عليها، ومثل هذا له انعكاس إيجابي على الولايات المتحدة الأميركية.

ويلحظ موصللي أن حركة الإسلام السياسي الشيعي تختلف عن حركة الإسلام السياسي السني لجهة ارتباط الأولى بالواقع الستراتيجي الإقليمي ودوري سوريا وإيران، بينما لا نجد الإسلام السني في هذه الستراتيجية عموما من خلال قيام حركات إسلامية سنية مقاومة. إذ إن الواقع اللبناني لم يسمح بحركة سنية لبنانية للصراع مع إسرائيل كما فعل حزب الله.

الصراع مع إسرائيل

يصف إشتي حضور الجماعات الإسلامية السنية في الصراع مع إسرائيل بأنه شكلي، إذ إن هذه الجماعات دون فاعلية خلاف ما كان عليه وضع اليسار، وحزب الله كحزب إسلامي أحدث نقلة نوعية في هذا الإطار. أما التيارات التي خرجت من جماعة الاخوان المسلمين فقد كانت مساهمتها في القتال ضد إسرائيل عبر الكفاح المسلح شكلية. وقد استمر هذا المنحى حتى الانتفاضة وتأثر بتجربة حزب الله، من هنا يأتي دور حماس وحركة الجهاد الإسلامي الآن.

ومثل هذا الرأي يتوافق فيه إشتي مع درباس، لكن موصللي يرى أن لمشروع الحركات الإسلامية بعدين. أحدهما هو مقاومة إسرائيل والثاني هو إقامة الدولة الإسلامية. بالنسبة للبعد الأول لم يحارب الإسلاميون إسرائيل بسبب القمع الذي تعرضوا له من جانب الدول العربية، باعتبار أن المشروع القومي كان في فترات معينة بديلا عن هذه الحركات، وعليه فقد تم تهميشها فكريا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا. كان الطرح القومي هو الغالب، وتأسست منظمة التحرير الفلسطينية لقيادة الصراع القومي مع إسرائيل. ولما سمح السادات بانتشار الإسلام السياسي وأخرج السجناء، حدث بعدها الدخول السوفياتي الى أفغانستان وقامت الثورة الإسلامية الإيرانية، أسس ذلك لإعادة النظر لمسألة الصراع مع إسرائيل. حتى قيام حماس كانت الحركة الأم - الاخوان المسلمين - تعبر عن واقع جديد لدى الحركات الإسلامية. كانت أولويات هذه الحركات هي تغيير هذه الأنظمة ومن ثم تحرير فلسطين، لذلك اعتبروا الدولة القومية شرا لا بد من إزالته. إذن كانت الأولوية تغيير الأنظمة ثم التحرير.

هنا يجب ألا ننسى أن هذا التحول طرأ على فكر هذه التيارات بعد أن كانت مساهمة هذا التيار أساسية في الصراع مع إسرائيل خلال ثورتي العام ٣٦ و١٩٣٩، وفي حرب العام ١٩٤٨، إذ أرسلت خلالها أكثر من عشرة آلاف مقاتل، إلا أن مشروعهم تم تهميشه.

أما بشأن إقامة الدولة الإسلامية فهناك مراحل. المرحلة الأولى هي مرحلة التحضير أما الثانية فهي مرحلة التمكين. بعد طرد الجماعات الإسلامية من أفغانستان وباكستان التي أعادتهم الى دولهم هم في مرحلة التحضير. وخلاله يعزلون أنفسهم عن المجتمع الذي يعتبرونه غير إسلامي ثم يستعدون للهجوم عليه عندها تأتي مرحلة التمكين. هذا الترتيب التنظيمي الذي يعتمدونه عبر عنه وجودهم في الضنية. علما أن عودتهم من أفغانستان جعلت منهم مجموعة مهمشة لا يمكن أن تتعايش مع المجتمع الذي لا بد من تغييره بإقامة المجتمع الإسلامي. وهذا يعني أنهم يتأثرون بفكر جماعة التكفير والهجرة، يكفرون المجتمع ثم يخرجون من المدن ثم يهاجمونها من الخارج.

التهميش والهامشية

السؤال الذي يطرح هنا، هل الدول - الأنظمة - هي التي همشت هذه التيارات أم أنهم هامشيون بحكم منابتهم الاجتماعية والمناطق التي انطلقوا منها؟

لا يشك زيادة في أن هنالك مجموعات هامشية وهي الأكثر تطرفا من سواها. إذ إن أكثرها يأتي من مناطق تستقطب الفقراء من نازحين ومقيمين وسكان أميين. في هذه المناطق هناك بطالة وعائلات مؤلفة من عدد كبير من الأفراد. إذ تصل بعض العائلات الى ١٢ - ١٣ فردا. هذه البيئة التي يكتظ فيها الناس متردية الخدمات. ويقارن زيادة بين هذه المجموعات (الضنية مثلا) وما هي عليه الجماعات الإسلامية التقليدية ليتبين أن الثانية لديها رسوخ قديم يمتد الى مرحلة الخمسينات ولهم صلات عربية وإسلامية ويقدمون خدمات مدرسية وتربوية، وحضورهم في طرابلس كمدينة سنية هو بين عائلاتها، إضافة الى بعض عائلات جرود الضنية، وتأثيرهم نبع من أنهم نقلوا إليها المدارس وفتحوا أفقا أمام الشباب. بالمقابل نشأت هذه الجماعة - الضنية - في المناطق الأكثر فقرا والمهملة، فلا أرصفة ولا مجاري ولا خدمات. هذا ما يصح على منطقة التبانة وكذلك عكار والضنية وهذا ما يجعل الشمال أكثر حرمانا وضحية وبالتالي مضاعفات اجتماعية وقابلية للانفجار.

بدوره يدعو إشتي الى عدم إغفال الجانب الاجتماعي في نشأة الجماعات الأكثر تطرفا. إذ إن هؤلاء لا يجدون أمامهم سوى رب العالمين ورحمته للتعويض عن الحرمان الذي يعانونه. بعض القوى الإسلامية تبدأ بالغزل على نسيج الواقع الاجتماعي ثم تمتد بتفكيرها، لكنها لا تعتمد تحسين هذا الواقع، لذلك يغيب الجانب الاجتماعي في منبتها والتحريض على تغييره. آخر ما يهمها هو تغيير الواقع الاجتماعي. البعض متأثر بتجربة مصر وحركة التكفير والهجرة ويحاولون إنتاج جزيرة معزولة لإعادة الطهارة الى المجتمع. لكنهم في مسارهم نحو تكفير المجتمع يبدأون بالأب والأم والأخ.. وعنه تنشأ التشكيلات التي تقارب الأخويات المسيحية، إنما بطريقة عنيفة وعنفية.

يؤكد موصللي على أن مجموعتي الضنية وعصبة الأنصار في مخيم عين الحلوة في صيدا تتبنيان مقولات التكفير والهجرة، وهذه كما هو معلوم حركة غير لبنانية، كما أن أفكارها غير مقبولة في سياق الحركة السياسية للسنة في لبنان. ولنلاحظ مثلا أن عصبة الأنصار لا تحاول الانتشار حتى داخل المخيم، إذ إنها معزولة عنه في أحد أحيائه. هناك خصوصية لواقع المخيم، لكن ما هو ثابت أنها حركة غير شعبية ولا تحاول الحلول محل حركات فلسطينية أو إسلامية أخرى. وهي متأثرة بفكرة الجهاد في أفغانستان، لكنها لا تشكل خطرا على صيدا ولا على لبنان. كما لم تشكل جماعة الضنية خطرا على طرابلس.

حركات وحركات

يضغط الواقع العربي - الإسلامي بثقله على الحركات الإسلامية ويؤدي في الكثير من الحالات الى بعثرتها أو الى اتجاهها العنفي. بالتأكيد الحرب المرتقبة على العراق ستترك مضاعفاتها على هذه القوى كما على سواها. وهنا لا بد من الإشارة الى أن العديد من الجماعات المستحدثة هي نوع من أنواع الانقلاب على حركات إسلامية - سياسية تقليدية. حال الصراع الداخلي هذه عبرت عن نفسها مثلا باغتيال الشيخ نزار الحلبي رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية التي اتهم بها ثلاثة من عصبة الأنصار.. وقد تم إعدامهم. إلا أن سكون الوضع ليس سوى مظهر مخادع. يتغذى ذلك من طابع الحركات الإسلامية.

يعترف إشتي بهذا الصراع وإن كان يرده الى غياب القضية السياسية أو الاجتماعية. الأكثر بروزا لدى الجماعات الجديدة هو الممارسة الدينية ومحاولة التغيير بالعنف. مقابل ذلك تؤجل تحسين الوضع الى الآخرة، لذا يتم تضخيم العقيدة الدينية. ثم ان طرح القضايا السياسية والاجتماعية يتناقض مع المولين الرأسماليين والرجعيين. إذ إن حضور القضية الاجتماعية يؤدي الى خسارة التمويل، فيما عملية تضخيم الإيمان بالآخرة ودفع التطرف الى أقصاه يؤديان الى تغييب هذا الجانب الجوهري، الذي لو انخرطوا فيه لحدث التقاؤهم بالضرورة مع أصحاب الفكر التقدمي واليساري، وهو ما لا يريدونه باعتبارهم مجرد كفرة مثلهم مثل كل الذين لا يتقاطعون مع أفكارهم وتصوراتهم للإسلام والإيمان.

لا يشك موصللي أن هناك صعودا على مستوى الإسلام السياسي. وهناك تبن أكثر لفكر هذه الجماعات، ما يسمى بالصحوة الإسلامية يقوم على هذه الجماعات. والواضح أن صعوده يحدث في كل من تركيا والمغرب والبحرين واليمن. يحقق الإسلام السياسي نجاحات كبيرة واختراقا للأنظمة القائمة، وهو اختراق سلمي. مما يعني أن هذه الظاهرة لها شأن إذا ما أتيح لها العمل بحرية. ولهذه الحركات مشروع حضاري وسياسي على مستوى العالم الإسلامي، بل على مستوى العالم كله. وأهمية هذا الصعود أنه يطرح مسألة العلاقة مع الغرب وكيفية تعامل الأخير مع صعود هذه الظاهرة. ومشروع الحركات الإسلامية لا يستمد مشروعيته من العنف، بل من قبول الشارع بأطروحاته الفكرية والسياسية والاجتماعية. هذا التيار يتأثر به لبنان. لبنان لا ينتج الفكر السياسي الأصولي - السني، بل يتأثر بالمناخات الإقليمية العامة، ولا سيما في مصر والسعودية وغيرهما. وكذلك الأمر مع الحركات الراديكالية. إذ المعروف أن لبنان لم يؤسس حركات إسلامية - راديكالية على واقع المجتمع التعددي، بل تأسست هذه في المعارضة لأنظمة قمعية ذات الحزب الواحد.

لا عصبة الأنصار ولا مجموعة الضنية تأسستا في لبنان. أكثر من ذلك الحركات الإسلامية السنية الأساسية هي الأخرى لم تؤسس على الواقع، بل تتأثر بالمناخات العامة المحيطة.

بالتأكيد مثل العصبة والمجموعة هي حركات هامشية لا تؤثر في حركة الإسلام السياسي السني، الذي استوعب التركيبة اللبنانية ويعمل من خلالها من أجل التوصل الى أهدافه. أما المجموعات الهامشية فهي خارج حلبة الصراع الداخلي في لبنان، وليس لها من دور يذكر بالنسبة للحركات السياسية - الأساسية المرفوضة منها، بسبب قدرتها على تشويه سمعتها. هذه المجموعات المتشددة تكفر الحركات الأساسية لأنها تتعامل مع أنظمة الحكم القائمة.

الخلاصة التي يمكن الوصول إليها، ان تضخيم حركة أو تيارات الإسلام السني سياسيا هو في غير محله إلا إذا كانت هناك رغبة بمقايضتها مع مجموعات لبنانية أخرى.

يتوافق توصيف زيادة ودرباس لموقف كل من الجماعة الإسلامية وحركة التوحيد، ففيما ظلت الأولى على مسافة من الصراع الأهلي انخرطت الثانية في خضمه رغم علمها بتداخلاته الإقليمية. كانت الجماعة تتصرف على أن الحركة زائلة وهم باقون.. وحدث ما حدث في طرابلس لجهة سقوط الحركة عام ١٩٨٥. لكن ذلك لم يؤد الى إنهاء حالة التدين الأصولي، وهو المادة الخصبة التي تغرف منها الجماعات أنصارها في ظل غياب الأحزاب التقدمية - اليسارية أو تغييبها.

هذه العينة من الآراء لا تقفل النقاش. إذ ربما تفتحه أكثر، ليس فقط للمزيد من التدقيق في الحركات السياسية للإسلام السني، لا سيما ذات المشارب الأصولية والمنعوتة بالإرهاب والعنف، بل بالعلاقة أيضا مع المحيط اللبناني والمدى العربي والإسلامي الأوسع. وذلك كله بهدف رئيسي أساسي هو محاولة تكوين رؤية استراتيجية لما هي عليه منطقتنا اليوم، بالعلاقة مع هذا النظام العالمي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأميركية دولياً وإسرائيل إقليمياً، تمهيدا لصياغة معادلات مختلفة عن تلك السائدة الآن، والتي لا مبالغة بالقول إنها تنتج المزيد من العنف المنفلت من كل عقال، ودون التقدم خطوات الى الأمام بالإفادة من التراكم التاريخي والحضاري الذي أمكن تحقيقه.

وثيقة تعكس التطور الفكري داخل التنظيم «الجماعة الإسلامية» تطرح - لأول مرة - مشروعها السياسي

حسمت «الجماعة الاسلامية» أمرها وقررت، لاول مرة منذ تأسيسها، ان تطرح مشروعها السياسي على الناس، داعية عبره الى حوار صريح حول مجمل ما تضمنه من مواقف تجاه الشؤون المحلية ودور لبنان العربي وموقع العقيدة الدينية في العمل السياسي.

و«السفير» اذ تنشر النص الحرفي لهذا المشروع كما اقره مكتبها السياسي، كمدخل الى النقاش من حوله، تسجل هذه المبادرة للجماعة الاسلامية في سياق الجهد لحسم مسائل الخلاف عبر الحوار السياسي وليس بأي اسلوب آخر.

ولقد لحظ المشروع السياسي للجماعة الاسلامية، بالتحليل، كما بالنقد، مجموعة المعضلات التي يعاني منها النظام في لبنان، وبينها عدم استقرار الواقع السياسي، واستمرار حالات الانقسام، مطالبة بضرورة اصلاح النظام واستصدار قانون عادل ومتوازن للانتخابات باعتماد النظام النسبي ولو على مستوى المحافظة.

ولعل بين المحطات البارزة في المشروع «رفض ظاهرة الخروج المسلح على المجتمع والدولة، ونبذ العنف والتطرف، والدعوة الى متحد يجمع كل الطاقات في «حلف فضول» جديد.

أما الوجود السوري فهو يحقق، في رأي الجماعة، مصلحة وطنية عليا ولا يجوز طرحه كمادة نزاع بين اللبنانيين.

هنا نص المشروع السياسي للجماعة الاسلامية:

****

«ان تحديد مضامين المشروع السياسي للجماعة الاسلامية في لبنان، يكمن في عملية المقاربة الصعبة بين واقع الحياة السياسية اللبنانية، وخصوصياتها وتداخلاتها الطائفية والسياسية الاقليمية والدولية من جهة، وتوافق ذلك مع منطلقاتنا الفكرية والعقائدية الناظمة لحركة دعوتنا الاسلامية من جهة اخرى.

أولا: في واقعنا اللبناني:

إن الوضع السياسي اللبناني المأزوم، الذي بدأ مع اختلاف اللبنانيين حول الهوية والكيان منذ الاستقلال وحتى توقيع اتفاق الطائف ووقف دورة العنف، لم يستطع حتى الآن الوصول الى واقع سياسي مستقر، مما يوجب على القوى السياسية كافة وضع المخطط المناسب والسعي لمغادرة الأزمة البنيوية للنظام بوتيرة متسارعة، لان تركيبة لبنان الطائفية - لا سيما بعد تكريس طائفية الرئاسات - في ظل ادارة عامة فاسدة ومترهلة، وازمة اقتصادية خانقة، تهدد بنسف كل الانجازات السياسية والامنية، الأمر الذي دفع الى حالات انقسام شتى بين اللبنانيين نتيجة الشعور بالاحباط والتهميش السياسي المتنقل بين الطوائف، وانعدام حالة الاستقرار والتوازن السياسي في لبنان من جراء الاداء السياسي المتعثر للحكومات المتعاقبة والآثار السلبية الناجمة عن قوانين الانتخابات وتحالفاتها ونتائجها، مما اوجد لدى البعض شعوراً بالانتقاص من الحرية والسيادة فجاهر بالعداء للعروبة ولسوريا وطالب بانسحابها من لبنان، الامر الذي دفع بالبعض الاخر الى التنبيه من مخاطر ومغبة ركوب هذا المركب الخشن. ولقد ساعد في هذا تزايد التأثير الثقافي والسياسي والاقتصادي والامني، الاقليمي والدولي بين فئات المواطنين، مع ما يرافق ذلك من انحدار غالبية اللبنانيين نحو حافة الفقر.

كما ان استمرار التهديد الاسرائيلي للبنان ومقاومته، وبقاء الاحتلال على جزء من ارضه، يوجب استمرار التعبئة الجهادية مع وجود احد اكبر التجمعات البشرية الفلسطينية على الاراضي اللبنانية، وحرمانها من حق العودة الى ارضها، وتسريب اخبار توطينها، وأثر ذلك على الواقع السياسي في لبنان.

ثانياً: في واقعنا الاقليمي:

١ - ان التفرد الاميركي في العالم، في ظل التوجه الدولي نحو قمع وتأديب كل الخارجين على مخططاته الاستعمارية وعمليات محاصرة وتضييق الخناق على حركات المقاومة والتحرر، فرض نظاماً عربياً عاجزاً عن تلبية تطلعات الشعوب وتوقها الى الحرية والاستقلال، ودفع نحو المزيد من الاحتقان بعد فشل سياسة فرض التسوية مع العدو الصهيوني وفشل كل محاولات التطبيع معه.

٢ - بالإضافة الى تزايد حالات التضامن الشعبي والرسمي العربي مع انتفاضة شعب فلسطين، وتبخر اوهام الصلح المذل مع وصول الليكود الى سدة السلطة وانسداد اي افق للتسوية، مما يؤسس لمواجهة شعبية شاملة في الداخل المحتل يستحيل بقاء

المحيط العربي في منأى عنها، خاصة مع تزايد مساحة الوعي وتباشير الصحوة الاسلامية الواعدة، الامر الذي يطرح الاسلام كبديل حضاري للواقع القائم.

٣ ـ انطلاقاً من نظرة الجماعة الى ان لبنان جزء لا يتجزأ من الامة العربية، وحيث ان العمق العربي والاسلامي يمثل البعد الاستراتيجي للبنان، لذلك فانه يجب على لبنان والحركة الاسلامية فيه تمتين علاقة الاخوة مع المحيط العربي وخصوصاً مع الدول التي تشكل حالة رفض للمشروع الصهيوني.

٤ ـ وبما ان سوريا هي الجار الاقرب، وبوابة لبنان على العالم العربي، وعمقه السياسي والاستراتيجي والاقتصادي، فان الجماعة تعتبر الوجود السوري في لبنان وجوداً شقيقاً يحقق مصلحة لبنانية عليا، يفترض عدم طرحه كمادة نزاع بين اللبنانيين، ومعالجة الآثار السلبية التي قد تترتب عليه ضمن المؤسسات الدستورية.

في حركة المشروع السياسي الاسلامي:

ان الصراع السياسي في لبنان سيعيد بعض الحيوية المفتقدة الى الحياة السياسية، حيث سيتحور النقاش والجدل السياسيان حول الحرية والسيادة، وقانون الانتخاب العتيد، والحلول المناسبة للخروج من مأزق الملف الاقتصادي والاجتماعي، في جو ينبئ بحدوث تبدلات في التحالفات بين القوى السياسية، الامر الذي يوجب على حركتنا السعي لتحقيق التالي:

١ ـ تفعيل العمل السياسي في الجماعة، لأننا نؤمن في عقيدتنا ووعينا بأن العمل السياسي عبادة اذا كان محكوماً بضوابط الشرع وأحكامه، مما يحتم علينا احلال العمل السياسي مكانه اللائق في تربيتنا الاسرية وتراتبيتنا الدعوية وعدم اعتباره عبئاً، مع لحظ امكانية تعثره وخطئه كما سائر الاعمال الدعوية الاخرى.

٢ ـ السعي الى استعادة المبادرة السياسية في ساحتنا الاسلامية من خلال اطلاق النشاطات والبرامج والندوات والمحاضرات وتبني القضايا المحقة والدفاع عنها، والانخراط في شؤون المجتمع لما فيه خيره وصلاحه، وتحسين شروط المشاركة الفعالة في الانتخابات النيابية والتمثيلية كافة، والاهتمام بالبلديات والمجالس الاختيارية، وتدعيم ورعاية وجودنا فيها.

٣ ـ مقاومة نهج الظلم والاستبداد السياسي، ومحاربة الفساد في الادارة من خلال تبيان الاخطاء والانحرافات، والتصدي لمحاولات كمّ الافوه وقمع المعارضة والتحذير من عسكرة النظام.

٤ ـ السعي الى الغاء الطائفية السياسية، باعتبارها المخرج من المأزق القائم أمام اي اصلاح سياسي اداري.

٥ ـ الدفاع عن الحرية باعتبارها مقصداً عظيماً من مقاصد الشريعة، والاهتمام بقضايا حقوق الانسان والمحافظة على الحريات العامة، كإطار صالح لممارسة حياة سياسية نظيفة، والحرص على المكتسبات التي كفلها الدستور.

٦ ـ ان الديموقراطية في مفهومنا هي الوسيلة المتاحة لحماية الحرية الشخصية وتأكيد مبدأ الشورى، واستمداد السلطة من الشعب، ومسؤولية الحاكم تجاه شعبه وخضوعه للمساءلة والمحاسبة. ولذلك فنحن نسعى الى اصلاح النظام اللبناني باتجاه تحقيق تمثيل افضل للجماهير الشعبية، وتحصين الحريات السياسية، والمحافظة على اخلاقيات العمل السياسي.

٧ ـ إن سَن قانون عادل ومتوازن للانتخابات النيابية له أهداف وآثار بعيدة على الحياة السياسية، ومن المفترض ان يكون أكثر صحة وتمثيلا وعدالة. وهذا يرتبط بنظام التمثيل كما يرتبط بتقسيم الدوائر الانتخابية. لذلك فان المطالبة بتطبيق النظام النسبي ـ وان على مستوى المحافظة ـ هو السبيل الاكثر عدلا ومساهمة في تحديث الحياة السياسية وانشاء التكتلات على اساس البرامج، مما يؤدي الى رفع نسبة المشاركة في الحياة العامة (دراسة مفصلة).

٨ ـ إن واقع العيش المشترك مع المسيحيين في لبنان، يستدعي الوصول الى صيغة مقبولة لهذا التعايش، محكومة بالضوابط الشرعية، تلحظ خصوصية كل طائفة في احوالها الشخصية ومعتقداتها.

٩ ـ إن إشكالية الخلط بين التدين والطائفية، وطرح العلمانية كعلاج للطائفية، يستدعيان ان يدرك الجميع ان علاج الطائفية البغيضة لا يكون الا بالتدين الصحيح، والمشكلة تكمن بتجار الطائفية ودعاة العلمانية المتعارضة مع قيمنا واخلاقنا. والمتدين لا يعرف التعصب فهو منفتح ويعترف بالآخر ويحترم رأيه ومعتقده (لا إكراه في الدين).

١٠ ـ اننا نرفض بالمطلق ظاهرة الخروج المسلح على المجتمع والدولة، وندعو الى نبذ العنف بكل أشكاله، ونعتقد ان ازالة المنكرات واصلاح المجتمع يكونان بالحكمة والموعظة الحسنة، وان الحوار هو السبيل لترسيخ السلم الاهلي والحياة المشتركة. وندعو الى الوسطية في الموقف والكلمة والتوجه (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس..) والى رفض كل انواع التطرف والغلو.

١١ ـ ان نظرتنا الى التحالفات السياسية تنطلق من ان العمل السياسي يتحرك في واقع متعدد الاطراف، وصياغة التحالفات تتم من خلال الدائرة الصغيرة وصولا الى الدوائر الكبيرة. لذلك نرى:

أ ـ ترتيب الساحة الاسلامية عبر محاورة القوى الفاعلة والشخصيات والتوصل الى تحديد رؤية مشتركة.

ب ـ محاولة حشد كل طاقات الصف الاسلامي في جبهة واحدة تعمل على تكامل العمل الاسلامي وتنسيقه.

ج ـ رسم قاعدة الالتقاء مع القوى السياسية التي تجمعها قواسم مشتركة مع الجماعة، والدعوة الى اطار متحد يجمع كل الطاقات في (حلف فضول) جديد ضد الظلم والاستبداد، وتوفير المناخ الاجتماعي والسياسي والفكري للمناقشة الحرة بين الافكار والمعتقدات عبر تبني اسلوب (الانفتاح السياسي) في مرحلة مواجهة الهيمنة والتسلط، ومد يد التعاون والتنسيق الى كافة اطراف الساحة الوطنية على قاعدة الاحترام المتبادل، والتصدي للمشروع الاميركي الصهيوني وافرازاته على الساحة اللبنانية.

١٢ـ إن الوضع الاقتصادي المتفاقم وحالة العجز المتزايدة في الموازنة يدفعان الى تأكيد التالي:

أ ـ وضع سياسة اقتصادية تعتمد القدرات الذاتية للاقتصاد الوطني بعيدا عن المشاريع الكبرى التي تفوق قدرة الوطن والمواطن، ووقف الهدر في التلزيمات وترشيد الانفاق وضبطه وتحقيق الاصلاح الاداري وتفعيل اجهزة الرقابة والمحاسبة.

ب ـ وضع حد لسياسة اغفال الموارد الداخلية والتمادي في الاعتماد على القروض الخارجية لما لذلك من آثار سلبية على

مستقبل القرار الوطني، والمطالبة بوضع قانون تسوية مخالفات الاملاك البحرية موضع التنفيذ، واستعادة سوق النفط من الشركات الخاصة، والمحافظة على الثروات المائية والطبيعية والسياحية وسائر الاملاك العمومية واستثمارها في النطاق العام.

ج ـ السعي لإيلاء الوضع الزراعي الاهتمام اللازم، حيث ان نصف الشعب اللبناني يعيش من هذا القطاع، وثبت انه اساس الدورة الاقتصادية. وعندما ضُرب القطاع الزراعي بدأ الشلل يصيب الاقتصاد الوطني ككل، لذلك يجب تطوير وتصنيع وحماية وتدعيم الانتاج الزراعي بكل أبعاده.

د ـ إن مستقبل الصراع في المنطقة يتمحور حول المياه والحاجة الماسة إليها في الفترة القادمة، الأمر الذي يوجب المحافظة القصوى على هذه الثروة ومنع استنزافها وانشاء البحيرات والسدود لحفظها واستثمارها.

هـ ـ شكلت السياحة والاصطياف والخدمات واقعا مميزا في الموقع والدور للبنان والمنطقة، لذا تكتسب حملات حماية البيئة ومنع التلوث وتأمين مستلزمات النظافة العامة والوقاية أهمية بالغة.

و ـ السعي الدائم الى تحقيق إنماء المناطق والمحافظات، ومطالبة الدولة بتبني سياسة انمائية واعمارية شاملة للمناطق المحرومة والعمل على ايصال الحقوق إليها وتحقيق التكامل باعتماد اللامركزية الادارية عبر دعم البلديات وتطوير ادائها.

١٣ـ الخصخصة:

مع تقديرنا لنجاح القطاع الخاص وفعاليته في ادارة المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، إلا اننا ندعو الدولة التي طرحت الخصخصة لتأمين موارد مالية للخزينة، الى التنبه من خطورة احتكار حاجة الناس الى الضروريات والسعي لتحقيق افضل الشروط المناسبة، وعدم بيع المؤسسات الرابحة والابقاء على الخاسرة لصالح بعض المحظوظين، وتأمين كافة وسائل المراقبة والضبط.

١٤ـ السعي الى توسيع اطار استفادة المواطنين من التقديمات الاجتماعية ولا سيما توفير بطاقة الاستشفاء الموحد والضمان الصحي وضمان الشيخوخة، ودعم وتطوير المستشفيات الحكومية.

١٥ـ التعليم:

تطالب الجماعة بايلاء التعليم مكانته اللائقة به، وتوفير سبل تحصيل التعليم المجاني لجميع اللبنانيين، وتوحيد المناهج المدرسية، وانجاز كتاب موحد للتاريخ والتربية الوطنية، بما يحقق تخريج اجيال مرتبطة بثقافتها وجذورها العربية، بعيدا عن التوجهات التغريبية او العنصرية الشوفينية.

١٦ـ القضية الفلسطينية:

انطلاقا من الواجب الملقى على العرب والمسلمين إزاء القضية الفلسطينية، فإن الجماعة ترى من واجبها:

أ ـ تعبئة الأمة وتوعيتها بالخطر الصهيوني الذي يتهددها بكل مقوماتها ووجودها، والعمل على بناء المجتمع المقاوم بالفكر والممارسة، وتدعيم مسيرة الجهاد والمقاومة بكل الوسائل الممكنة، الامر الذي يستدعي تبريد كل الجبهات السياسية الاخرى وتفعيل التنسيق مع الساحة العربية والفلسطينية لمواجهة الخطر الذي يتهدد العرب والمسلمين والانسانية بكاملها.

ب ـ تبني قضية اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ولا سيما تمتعهم بحق العودة، وإقرار الحقوق المدنية والانسانية للشعب الفلسطيني المشرد، ورفع الظلم والحرمان عنه.

ج ـ اعتبار مواجهة المشروع الصهيوني في مقدمة اهتماماتنا من خلال التنسيق الكامل مع (حركة حماس) ودعم كل القوى المجاهدة، والحرص على ابقاء الساحة اللبنانية كساحة مواجهة ضد الاحتلال الاسرائيلي.

١٧ـ قضية المرأة:

المرأة نصف المجتمع ومربية النصف الآخر، وهي معنية بالتكليف والمسؤولية الشرعية والمدنية كالرجل. ومن حقها ممارسة العمل السياسي والمشاركة في الانتخابات على كل المستويات ترشيحا وانتخابا ضمن الضوابط الشرعية.

صدر عن المكتب السياسي في جلسته رقم ٥٢/٥ بتاريخ ١٥ محرم ١٤٢٢ هـ الموافق ٩ نيسان ٢٠٠١م.

الجماعة الاسلامية في لبنان

في مطالع الخمسينات كانت الحركة الاسلامية في عدد من أقطار العالم العربي قد نمت وباتت تشكل تيارا فكريا وسياسيا واضحا على الساحة العربية. كانت مؤلفات حسن البنا وسيد قطب ومصطفى السباعي، في مصر قد انتشرت الى سواها، وما جرى تعريبه ونشره من كتب أبي الأعلى المودودي في باكستان، وإصدارات الاخوان المسلمين كمجلة «الدعوة» و«المسلمون» من مصر و«الشهاب» من سوريا و«الكفاح الاسلامي» من الاردن.. كل هذه وسواها أخذت تشكل تيارا فكريا وسياسيا اسلاميا كان لا بد وان يصل الى مختلف المناطق اللبنانية. وقد ساعد على بلورة هذا التيار في لبنان لجوء الدكتور مصطفى السباعي (المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا) الى لبنان عام ١٩٥٢ خلال فترة حكم العقيد أديب الشيشكلي في سوريا.. حيث استطاع تأصيل الفكر الاسلامي الملتزم لدى صياغة دراسات فكرية وحركية لكل من «جماعة عباد الرحمن» التي تشكلت في بيروت وكان أسسها محمد عمر الداعوق عام ١٩٥٠، ولدى مجموعة من الشباب بطرابلس كان أبرزهم النائب السابق فتحي يكن.

بالطبع تأكدت صلات هذا التيار الاسلامي اللبناني بحركة الإخوان المسلمين في مصر حيث كان الانبثاق خلال زيارة المرشد العام للإخوان في مصر (حسن الهضيبي) الى لبنان عام ١٩٥٣، وتبع ذلك كان انعقاد المكتب التنفيذي لقادة الاخوان المسلمين في مصيف بحمداون الذي جاء خطوة اضافية لا سيما وقد حضره الى الهضيبي (مصر) والسباعي (سوريا) والداعوق (لبنان).. كل من الشيخ محمد محمود الصواف (العراق) ومحمد عبد الرحمن خليفة (الأردن) وغيرهم. بهذا المعنى كان هذا التطور بداية تفكير نحو عمل اسلامي على الصعيد العربي.

في عام ١٩٥٦ تأسس اول مركز لجماعة عباد الرحمن في طرابلس، وكانت الجماعة تنشر فكرها وتوسع من نطاق عضويتها دون ان تعتمد مسارا سياسيا محددا، في حين كان مركز طرابلس يصدر مواقف سياسية من الصراع الداخلي اللبناني خلال فترة حكم الرئيس كميل شمعون ومن القضايا الاقليمية كالموقف من الوحدة العربية ومشروع إيزنهاور وحلف بغداد والصراع العربي الاسرائيلي، وأصدرت نشرات غير مرخصة كمجلة «الفجر» عام ١٩٥٧ و«الثائر» عام ١٩٥٨. وعندما اندلعت أحداث ١٩٥٨ وما صاحبها من فرز وطني وطائفي كان لجماعة عباد الرحمن بطرابلس موقع سياسي وعسكري واضح، فأنشأت معسكرا للتدريب وأقامت محطة اذاعة «صوت لبنان الحر» كانت هي الوحيدة في الشمال حتى الشهور الاخيرة للأزمة.. بينما اكتفت الجماعة في بيروت بدور اجتماعي إغاثي، مما أدى في اوائل الستينات الى ان يستقل العمل الاسلامي في الشمال عن عباد الرحمن، وأن يبدأ تشكيل جماعة جديدة تلبي تطلعات الحركة الاسلامية بشكل كامل. وتجدر الاشارة هنا الى ان مركز طرابلس اصدر اول مجلة اسلامية اسبوعية (المجتمع) في ٥/١/١٩٥٩ استمرت في الصدور حتى صيف ١٩٦٥. ويمكن تفسير هذا الانقسام سياسيا، اذ ليس من قبيل الصدفة ان تندفع طرابلس نحو مقاومة حلف بغداد بالسلاح، بينما تعتمد جماعة بيروت العمل الاغاثي ليس الا. هذا التباين ادى لقيام تنظيمين اسلاميين من ذات المشرب في الوقت ذاته.

الجماعة الاسلامية

في عام ١٩٦٤ برزت «الجماعة الاسلامية» بشكل رسمي، وافتتحت مركزها في بيروت، وأصدرت مجلة «الشهاب» في ١ كانون الاول ١٩٦٦، وكان اول أمين عام للجماعة هو فتحي يكن، اضافة الى بقية المؤسسين: فايز إيعالي، محمد كريمة، محمد دريعي، وإبراهيم المصري. وأصدرت الجماعة مجموعة من النشرات الدعوية توضح فيها رسالتها، كان أبرزها «الجماعة الإسلامية.. مبادئ وأهداف» جاء فيها: «من مبررات قيام الجماعة الاسلامية جهل المسلمين بالإسلام وبعدهم عنه وتخليهم عن قيادته، وبالتالي ارتماؤهم في أحضان الاتجاهات المادية والمذاهب الوضعية، مما جعل بلادهم ومجتمعاتهم تؤول الى قيادات غير اسلامية، فكان من نتيجة ذلك تأزم اوضاعهم السياسية وتردي حياتهم الاقتصادية وتكاثر الآفات والانحرافات (...) ثم إن المراقب لما يجري في نطاق العمل الاسلامي يلاحظ ان مآل الجهود الفردية غير المرتبطة بتنظيم حركي - كالتي يبذلها الوعاظ والمرشدون - الى ضياع (...) أما محاولات الاصلاح الفردي فإنها ستفشل لعجزها عن مواجهة تحديات العصر ومتطلبات المعركة التي يعيشها الاسلام...». وفي أهداف الجماعة جاء التالي:

أولا: تبليغ دعوة الإسلام الى الناس نقية صافية متصلة بالعصر ومشكلاته..
ثانيا: تنظيم الذين استجابوا للدعوة الى الإسلام وتثقيفهم به وتأهيلهم ليكونوا الطليعة..
ثالثا: مواجهة تحدي الحضارة الغربية..
رابعا: السعي الى بناء مجتمع جديد يكون الإسلام فيه هو الميزان بتصرفات الافراد..
خامسا: السعي لجمع شمل المذاهب الاسلامية بالرجوع الى الأصول الاسلامية.

مرحلة التأسيس

من الملاحظ في هذه المرحلة انشغال الجماعة بعملية التأصيل الدعوي اضافة الى الانتشار الأفقي. ففي بداية السبعينات كانت الجماعة منتشرة في مختلف المناطق الاسلامية (السنية) اللبنانية، كذلك انشغلت الجماعة ببناء الهيكلية التنظيمية، فقد كان لها مكاتب مركزية تعنى بالإشراف على المكاتب المحلية، وكانت اهم الميادين التي عنيت بها الجماعة:

- قسم الأسر: للتربية والتأهيل.
- قسم نشر الدعوة: للتبليغ والعمل الدعوي.
- قسم الطلاب: للعمل في الثانويات والجامعات.
- قسم الفتوة: للعمل الكشفي والتربية البدنية والمخيمات الصيفية.

لكن انشغال الجماعة بالشأن الدعوي لا يعني انصرافها عن الشأن السياسي، فقد كانت تتابع القضايا السياسية ـ اللبنانية والعالمية ـ من خلال توعية عناصرها وعبر وسائل إعلامها، لكنها كانت تكتفي بالموقف السياسي دون الدخول في الممارسة اليومية او المشاركة في الانتخابات.

اذن غلب على مرحلة التأسيس العمل الدعوي، وهو امر يمكن ادراك مفاعيله على ضوء الحضور المدوي للتيارين القومي واليساري في غضون تلك الفترة. فالمؤكد ان الاستقطاب الجماهيري الاساسي كان يتوجه نحو الناصرية كمناخ اجمالي في طروحاتها، ومن ضمنها تلك المعركة التي خاضها الرئيس جمال عبد الناصر في مواجهة الاخوان والاتهامات التي وجهها لهم، والتي جعلت منهم مجرد اداة في الضغوط الاضافية التي يسلطها الاستعمار والرجعية على الناصرية لمنعها من تحقيق انجازات في الميدان الاجتماعي ـ الاقتصادي، او في مناحي الصراع المفتوح مع الانظمة الاكثر ارتباطا بالمصالح الغربية. وبذلك فان الجماعة كان تنشغل ببناء هياكلها التنظيمية في ظل انحسار المناخ العام الذي تستطيع ان تؤثر به من خلال طروحاتها. المقصود هنا القول ان لبنان قد تأثر بالمناخات المصرية مرتين. الاولى من خلال تشرب الدعوة في مرحلة انطلاقها، وفي تحجيمها ثانية من خلال الناصرية وطروحاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية. وهنا لا بد من ان نذكر ان مصر عرفت خلال الخمسينات ابرز حدثين هما تأميم قناة السويس والشروع في بناء السد العالي، مما ادى الى اندلاع حرب السويس في العام ١٩٥٦. اما في العام ١٩٦١ فقد صدرت قرارات التأميم والضمانات الاجتماعية وغيرها.

عقد السبعينات والثمانينات

يمكن وصف عقدي السبعينات والثمانينات بانهما عقدي التنفس. ففي العام ١٩٧٠ توفي الرئيس جمال عبد الناصر، وتولى الرئيس انور السادات خلافته. واتجه الأخير نحو اطلاق التيار الاسلامي من القيود التي كبله بها سابقه ـ كما ان مفاعيل حرب العام ١٩٦٧ كانت قد بلغت نتائجها الفعلية على صعيد المهادنة الناصرية للرجعية. كان بديهي ان تتأثر كل التيارات الاسلامية بالمعطى الجديد، علما ان التيار القومي ـ التقدمي في لبنان كان في ذروة اندفاعه. لكن هذا الوضع لم يمنع الجماعة من خوض اول تجربة انتخابية نيابية من خلال ترشيح المحامي محمد علي ضناوي في مدينة طرابلس، وكانت الغاية من عملية الترشيح ممارسة اتصال جماهيري واسع بالناس عبر طرح وجهة النظر الاسلامية في الاحداث الجارية، وكان واضحا لمؤسسات الجماعة ان الترشيح لن يتعدى هذا الاطار الى التخطيط لعمل سياسي برلماني. واستمر مرشح الجماعة في حملته منفردا فحصل على ٤١٩٠ صوتا، حيث كانت الانتخابات على أساس القضاء.

وفي عام ١٩٧٥ بدأت الحرب اللبنانية الطويلة، وقد واكبتها الجماعة بتشكيل بنية عسكرية تولت الدفاع عن المناطق الوطنية والاسلامية عبر تنظيم «المجاهدون»، وكان لهذا التنظيم وجود عسكري في كل من طرابلس والشمال، ثم في بيروت، وفي صيدا أواخر عام ١٩٧٦. وتقول الجماعة انها لم تشارك في أية عملية قذرة من مثل القتل على الهوية او القصف والتخريب. وكان للجماعة في الشمال إذاعة «صوت المجاهدون» وتابعت إصدار مجلة «الشهاب» لتواكب بها الأحداث اللبنانية. وبعد انتهاء حرب السنتين سلمت الجماعة مراكزها وأسلحتها الثقيلة في الشمال وشرق صيدا لقوات الردع العربية، كما أغلقت مراكزها العسكرية في بيروت. وتابعت الجماعة تنسيقها الأمني في اطار «المجلس السياسي» والمؤسسات المشابهة التي أفرزتها الحرب في مختلف المناطق اللبنانية.

اذن عرف عقدا السبعينات والثمانينات تحولات جدية في وضع الجماعة، باتجاه نفض غبار مرحلة التأسيس التي تلتها مباشرة صراعات الاخوان مع الناصرية، مما حصدت ذيوله في لبنان كما في سواه.

تشكلت قناعة لدى الجماعة خلال سنوات الأزمة اللبنانية انه لا بد من إنشاء مؤسسات متخصصة ترعى الأنشطة الاسلامية غير السياسية. وانطلاقا من هذا فقد أنشأت الجماعة خارج إطارها جمعيات ومؤسسات متخصصة على امتداد الساحة اللبنانية تلبية لحاجات الناس في غياب الدولة وخدماتها، واستكمالا لمشروع الجماعة الذي يغطي كل جوانب الحياة الانسانية. وانسجاما مع هذا التوجه فقد أقامت الجماعة مؤسسات تربوية وتعليمية، وأنشأت معاهد ورياض اطفال، وأخرى طبية واجتماعية عنيت بالخدمات العامة وإغاثة المنكوبين خلال الأزمات، ونشرت عددا كبيرا من المستوصفات والمراكز الطبية، ورابطة للطلاب المسلمين لها مجلاتها وأنشطتها، وجمعية نسائية اجتماعية، ومؤسسة إعلامية، وعددا من الجمعيات الخيرية في مختلف المناطق.

اما عقد الثمانينات فقد شهد انطلاقة مميزة للحركة الاسلامية على مستوى العالم. فقد كان لانتصار الثورة الاسلامية في إيران أول عام ١٩٧٩ وقيام جمهورية إيران الاسلامية أثر واضح في إطلاق المشروع الاسلامي، خاصة وأن الجماعة الاسلامية كان يشدها الى التيار الاسلامي الشيعي رباط وثيق عبر علاقاتها مع «الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين» ورموز «حزب الدعوة» قبل أن يشكل حزب الله، وكانت مجلة «الأمان» في ذلك الوقت هي صوت الحركة الاسلامية بجناحيها الشيعي والسني، وكانت المجلة السياسية الوحيدة في لبنان. كذلك فإن انطلاق حركة الجهاد الأفغاني على أسس اسلامية بعد الغزو السوفياتي لأفغانستان آخر عام ١٩٧٩ جعل الحركة

الاسلامية في كل مكان تتأثر بهذا الإنجاز. وجاء مصرع الرئيس أنور السادات على يد إسلامي مصري بعد توقيعه اتفاقية كامب ديفيد ليجعل الحركة الاسلامية في موقع متقدم على التيارات القومية والماركسية التي كانت بدأت بالتراجع، كما ترى الجماعة.

وعندما بدأ الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ كان المشروع السياسي للجماعة الاسلامية قد نضج، وكانت بنيتها السياسية قد استكملت عناصرها، وكان لتماسك القوى الاسلامية اللبنانية الجنوبية في وجه الاحتلال أثره الواضح في إطلاق مشروعها السياسي. ولعل أول صدام مسلح خاضه اثنان من شباب الجماعة في صيدا (الشهيدان سليم حجازي وبلال عزام) مع دورية للعملاء يوم ١٥ ايلول ١٩٨٢ قد أطلق مشاعر الناس وأدى الى سلسلة من المواجهات مع قوات العدو. وتتابعت العمليات لتشكل ـ متكاملة مع بقية عمليات المقاومة ـ الملحمة الجهادية التي ما تزال دائرة حتى الآن. وفي هذه المرحلة تشكل المكتب السياسي للجماعة الاسلامية وبرز مشروعها السياسي على حد ما يذكره قادة الجماعة.

وتقول الجماعة انه على الرغم من ان حركة المقاومة الاسلامية في فلسطين لم تكن أطلقت بعد، فإن الصراع مع العدو الصهيوني بات عنصرا أساسا في أدبيات الجماعة وفكرها السياسي وحركتها على الأرض. كما أن مشاركة عناصر من الجماعة في عمليات المقاومة الاسلامية حتى بعد انسحاب قوات العدو من صيدا كانت بارزة، سواء بالتنسيق مع إطار المقاومة الاسلامية في الجنوب أو المحاور الجديدة التي تشكلت بعد الانسحاب الاسرائيلي في منطقة كفر فالوس شرق صيدا، حيث كانت الجماعة تسيطر على عدد من المواقع والقرى المحررة في مواجهة قوات جيش لبنان الجنوبي.

أما في الاطار السياسي فقد أضحت الجماعة الاسلامية عنصرا أساسا في الشأن اللبناني. وفي هذا الوقت أطلقت مشروعها السياسي الذي اعتبر أن مواجهة العدو الصهيوني ستبقى ملازمة للعمل السياسي اللبناني، وأن لبنان بحكم موقعه محكومة بهذه الخصوصية، وأن الحركة الاسلامية ينبغي ان تعتبر ذلك قدرها وواجبها، وأنها تحقق إسلاميتها بقدر ما تحقق في هذا الميدان من أهداف.

وتتشكل الأجهزة التنظيمية في الجماعة بالانتخاب، مرة كل اربع سنوات للأجهزة المركزية، وكل سنتين للإدارات المحلية. وتنبثق مؤسسات الجماعة عن «مجلس الشورى» الذي ينتخبه أعضاء الجماعة في المحافظات بحيث يعكس تمثيل كل منطقة عدد الاعضاء فيها، ومجلس الشورى ينتخب الأمين العام الذي يضم المكاتب المركزية، كما تنتخب المراكز المحلية إداراتها. ومدة ولاية الأمين العام للجماعة أربع سنوات قابلة للتجديد دون قيود.

علاقات الجماعة الخارجية

تأتي علاقة الجماعة الاسلامية مع سوريا في طليعة اهتماماتها الخارجية. وعلى الرغم من ان هذه العلاقة شابتها بعض الضبابية في بدايات الصراع داخل سوريا بين النظام والحركة الاسلامية، إلا أن الجماعة في لبنان كان تدرك ان سوريا هي العمق الاستراتيجي للمسلمين وجميع التيارات الوطنية في لبنان، وأن سوريا كانت وستبقى العمق الاستراتيجي للحركة الاسلامية او التيارات الوطنية في لبنان. لذلك فقد استعجلت ترتيب هذه العلاقة منذ العام ١٩٨٠ بعد زيارة وفد من الجماعة برئاسة أمينها العام فتحي يكن الى دمشق ولقائه بالرئيس حافظ الأسد وتوضيح موقف الجماعة من هذا الموضوع. وإذا كان قد شاب انتظام هذه العلاقة بعض الشوائب خلال لجوء ياسر عرفات الى طرابلس عام ١٩٨٣ وحصار المدينة عام ١٩٨٥ فإن هذه الإشكالات انتهت بتوقيع اتفاق دمشق آخر شهر كانون الاول عام ١٩٨٥ ما بين حركة التوحيد والجماعة الاسلامية من جهة والسلطات السورية من جهة اخرى بوساطة إيرانية.

تؤكد الجماعة انه خارج هذه العلاقة ليس للجماعة الاسلامية علاقات مع أنظمة، بل مع حركات اسلامية وقومية تقوم على تبادل الرأي وتكامل الجهود والاستفادة من تجارب الآخرين في مختلف الميادين، فضلا عن تنسيق المواقف مع كل القوى الجادة في مواجهة المشروع الصهيوني ـ الأميركي، ومواجهة الآثار السلبية لعمليات التسوية ومشاريع التطبيع وتداعياتها في الوطن العربي والإسلامي.

الجماعة والتيارات الاسلامية «الجديدة»

يقول رئيس المكتب السياسي للجماعة ابراهيم المصري: لقد تعرضت الحركة الاسلامية في العالم العربي لموجات من القمع والتنكيل كان أبرزها في مصر بعد مشاركة جماعة الاخوان المسلمين هناك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ومقاومة الاحتلال البريطاني في قناة السويس عام ١٩٥١، تعرض جمهور الجماعة خلالها لعمليات قاسية من التعذيب والتشريد.. وقد بدأت أوائل السبعينات تبرز تيارات فكرية تدين المجتمع ومؤسساته الرسمية والاهلية وتتهمه بالكفر والردة، كان في طليعتها جماعة التكفير والهجرة وما لحقها او تفرع عنها. وقد بدأت هذه الاتجاهات تتبلور في السجون المصرية نتيجة تأثرها بفهم خاطئ لبعض ما كتبه الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه «معالم في الطريق» وتفسيره «في ظلال القرآن»، وحتى لا يتسرب هذا الفكر في الخفاء فقد شرّعت الجماعة عام ١٩٧٢ صفحات مجلتها (الشهاب) لمناقشة الموضوع، حيث عبّر أصحاب وجهات النظر المختلفة عن آرائهم في عدة أعداد من المجلة، وختمت الحوار بدراسة كتبها القاضي الشيخ فيصل مولوي (الأمين العام الحالي للجماعة) تضمنت رؤية الجماعة وموقفها الشرعي في هذا المجال، وهو يقوم على نظرية أننا دعاة ولسنا قضاة، وان حكم التكفير اذا جاز إطلاقه على بعض الانظمة المعادية للاسلام مما كان قائما في ذلك الوقت فانه لا يطال الافراد في هذا المجتمع، وقد صوّب الفهم الاسلامي الصحيح لفكر سيد قطب وغيره من مفكري الحركة الاسلامية. وما زالت الجماعة الاسلامية تعتمد الوسطية في فهمها للاسلام دون تطرف ولا تفريط، التزاما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه سلفنا الصالح.

لكن الجماعة تتجنب الدخول في صراعات جانبية مع هذه القوى التي تشعبت وانتشرت في العالم العربي، كما تتجنب الصراع الفكري والمذهبي مع التيارات التي أطرت نفسها تحت عناوين صوفية او سلفية، وتحتفظ بعلاقات طيبة مع الجميع محتكمة الى القاعدة التي تقول: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه. وتدعو الجماعة الى نظرية التكامل في العمل

الاسلامي، والتعاون والتنسيق بين كل العاملين على الساحة الاسلامية.

الطابع المذهبي

وردا على سؤال حول الانتماء المذهبي للجماعة يؤكد المصري ان الجماعة الاسلامية لا تتحدث عن انتماء سنّي او شيعي في مختلف أدبياتها، على الرغم من التزام عناصرها أصول أهل السنة والجماعة في توجهم الفكري او ممارسة عباداتهم. وهي تمثل انتماء اسلاميا جامعا يتجاوز الخلاف المذهبي سعيا الى تنمية نقاط الالتقاء بين السنة والشيعة وهي كثيرة وكبيرة، والى حصر نقاط الخلاف والعمل على قيام فهم متبادل لهذه النقاط بما لا يجعلها تعطل مسارات التعاون والتنسيق في ميادين العمل المختلفة، اجتماعية او سياسية او جهادية، على أمل ان تتولى المجامع العلمية العمل على الوصول الى وحدة اسلامية شاملة.

وقد شهدت الساحة اللبنانية تعاون القوى الاسلامية السنية والشيعية في كثير من الميادين، في الاطار الطلابي في الثانويات والجامعات قبل ان يتشكل حزب الله، ثم في إطار المقاومة الاسلامية إبان الغزو الاسرائيلي وما بعده، وفي الموقف السياسي والأداء الانتخابي والتنسيق البرلماني دون الوصول الى كتلة برلمانية اسلامية في المجلس النيابي. ولعل فترة «حرب المخيمات» التي شهدت احتقانا مذهبيا واضحا عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧ في بيروت والجنوب، كانت فيها الجماعة الاسلامية وحزب الله أبعد ما يكون عن التورط في هذه الحرب، بل كانا يركزان على محاصرة هذه الفتنة وآثارها وتداعياتها المدمرة.

في الممارسة السياسية

تعتبر الجماعة ان الاسلام هو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله لعباده على هذه الارض، وهو يحكم كل جوانب الحياة الانسانية وينظم شؤون المجتمع في شتى جوانبه، السلوكية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. هكذا هو الاسلام وهكذا تفهمه الجماعة. لذلك فلا فاصل بين ما هو سياسي وديني، وهي ترى العمل السياسي عبادة اذا كان يسعى لتحقيق المصلحة الاسلامية ورفع الظلم والدفاع عن المستضعفين. وكما شرع للمؤمن في محرابه فقد شرع له أصولا وضوابط في مجالات الحكم والعمل الاقتصادي والاجتماعي. لذلك فان المشاركة السياسية للجماعة تنسجم مع فهمها للاسلام، بدءا بنشر الوعي السياسي او اعتماد الموقف السياسي وصولا الى المشاركة المباشرة في الحياة السياسية.

قضية الطائفية: وتستشعر الجماعة من خلال أركانها خطورة المأزق الطائفي الذي يتورط فيه اللبنانيون أحيانا، لا سيما بعض الطبقة السياسية والمستفيدين من منافع ومكاسب الحكم، انطلاقا من التعددية الطائفية السائدة في البلد. لذلك فقد طرحت الجماعة منذ نشأتها «إلغاء الطائفية السياسية» من أجل معالجة الاحتقان الطائفي الذي يتناوبه رجال السياسة من حين لآخر، وذلك حتى تكون كفاءة المواطن هي التي تزكيه لأي منصب وليس انتماءه الطائفي. والجماعة تحرص على احترام التعددية الطائفية وعلى حماية خصوصيات الطوائف فيما يتعلق بأحوالها الشخصية ضمن اطار المواطنة المتساوية. وقد نأت بنفسها خلال سجلها الطويل لا سيما سنوات الحرب اللبنانية عن مزالق الصراع او الاقتتال الطائفي.. كما انها في تحالفاتها النيابية او البلدية حرصت على التعاون او التحالف مع شخصيات او تيارات مسيحية متعددة، وقد كانت وفية لهذه التحالفات كما يشهد لها بذلك الجميع.

اما التعددية فان الجماعة تنطلق من انه اذا كان الناس هذه الايام بدأوا يرفعون شعارات التعددية السياسية والتسليم باختلاف الرؤى في الفكر والعمل، فان الاسلام منذ بدأ الوحي يتنزل على رسول الله وسلم يعتبر اختلاف الناس حقيقة كونية وانسانية، والله تعالى يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا). والتعددية - كما تراها الجماعة - تقتضي الاعتراف بالآخر كما تقتضي الاستعداد النفسي والعقلي للأخذ عن هذا الآخر مما يجري على يديه من حق وخير ومصلحة، ذلك ان «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها»، ويظلم الاسلام والمسلمين من يصوّرهم جماعة مغلقة وراء ستار يعزلها عن العالم ويحول بينهم وبين الأخذ والعطاء.

وبشأن العنف فالجماعة تنبذ العنف في ممارساتها، الا في مواجهة العدو المحتل حين يكون الجهاد واجبا شرعيا ووطنيا. أما في ميادين الأداء الدعوي او السياسي فان الجماعة تعتمد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التزاما بقول الله تعالى، والحوار الهادئ سبيلا الى توفير القناعة بفكرها وخطها السياسي.

وحول المرأة تعتبر الجماعة المرأة نصف المجتمع، وانها انسان عاقل رشيد، معنية بالخطاب الإلهي في القرآن والسنة، وهي محل التكليف الشرعي كشأن الرجل، ومسؤوليتها الشرعية والمدنية والجنائية كاملة مثل الرجل، وذمتها المالية غير منقوصة، وجميع تصرفاتها المالية صحيحة ونافذة دون الحاجة الى موافقة الزوج او الأب او الأخ.. وقوامة الرجل محصورة في مسائل المشاركة الزوجية وهي قوامة تواد وتراحم وتشاور في مقابل ما يحمل الزوج من مسؤوليات. ومن حقها ممارسة العمل السياسي والمشاركة في الانتخابات على كل المستويات ضمن الضوابط الشرعية.

وتبقى مسألة حقوق الانسان فترى الجماعة في الاسلام النموذج الفريد الذي كرّم الانسان، كما تذكر في أدبياتها، وتؤكد ان الاسلام ارتفع بهذا التكريم فوق اختلاف الجنس واللون واللسان، وانه عصم الدماء والاموال والأعراض وجعلها حراما، وجعل الالتزام بهذه الحرمات فريضة دينية لا يسقطها عن المسلمين إخلال الآخرين بها (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) واذا كان بعض المسلمين لم يضعوا هذه الفريضة الاسلامية موضعها الصحيح وقصّروا في أدائها للناس فان ممارسات هؤلاء لا يجوز ان تحسب على الاسلام او تُنسب اليه.

وترى الجماعة ان العدوان على الحقوق والحريات تحت أي شعار امتهان لإنسانية الانسان يردّه الى مقام دون الذي وضعه الله فيه، وتعتبر انه على العقلاء والمؤمنين في كل مكان ان يرفعوا أصواتهم بالدعوة الى المساواة في التمتع بالحرية وحقوق الانسان، فهذه المساواة هي الطريق الحقيقي الى السلام الدولي والاجتماعي، والى نظام عالمي عادل وراشد يرد الظلم والعدوان.

مختصر منطلقات ومبادئ وأهداف حركة التوحيد الإسلامي

إن فكرة التوحيد هي فكرة قرآنية انطلقت من قوله تعالى: (إنَّ هذه أُمَّتُكُم أُمَّةً واحدة وأنا ربُّكُم فاعبدونِ»، وقوله تعالى: «واعتصِموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا واذكُروا نِعمة الله عليكم إذ كُنتم أعداء فألَّفَ بين قُلُوبكم فأصبحتُم بنعمته إخوانا).

أما عقيدة التوحيد فهي: ـ دعوة الناس لتوحيد الخالق وعبادته

ـ وتوحيد الخلق على منهاج الله

إن التوحيد يعني تلقي الأمر من الله الواحد الأحد ورفض طاعة أحد في معصيته. وثمرات التوحيد هي:

ـ وحدة في المنهاج

ـ وحدة في السلوك

ـ وحدة في الصف والموقف

وباختصار فالتوحيد هو توحيد الخالق وتوحيد الأمة عليه.

كذلك فإن التوحيد فضلا عن كونه عقيدة فإنه نظام يوحد حركة الحياة وينتظم أجزاءها كما انتظمت الأفلاك في مدارها فتابعت مسارها ولازمت مدارها. وبه ينتظم شمل الأمة حتى تصبح كالجسد الواحد تترابط برباط العقيدة الواحدة وتحس بإحساس واحد وتسعى لتحقيق هدف واحد هو الحياة في الله ولله والممات في الله حتى يصبح المسلم محررا من كل صنم، يرى في الموت على الحق اعظم مغنم.

من هذا المنطلق فإن حركة التوحيد الاسلامي ليست حركة سياسية آنية ولا حزبا ضيقا يبتغي كسب الزعامة إنما هي تجديد لدعوة الرسول (ﷺ) ونهج شامل في الحياة وامتداد لدعوة الإسلام وليس امتدادا لأشخاص لأن التعلق بالأشخاص هو الصنمية بعينها وهو الذي يحول الأمم الى أمم وثنية. والتوحيد هي كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله فحركتنا هي تطبيق معنى التوحيد في حياة الأمة. لأن ما يوحد الإنسانية هي عبادة الله، لا الأرض ولا النسب ولا التاريخ.

ظروف نشأتها

نشأت حركة التوحيد الإسلامي سنة ١٩٨٢م بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان وبعد سقوط الكثير من الأيديولوجيات والأحزاب أمام اسرائيل وفي ظروف الحرب اللبنانية التي كنا نشعر أثناءها أنه لا بد من إيجاد قوة إسلامية تدافع عن المسلمين في هذا البلد وتحافظ عليهم وعلى هويتهم وتطرح الاسلام كبديل أصيل وجذري في الصراع مع العدو الصهيوني، وبالفعل وجدت هذه القوة ومارست دورها وما زالت.

من الناحية الجغرافية نشأت فكرة حركة التوحيد الاسلامي في لبنان وفي طرابلس بالتحديد ولكنها لم تكن فكرة محلية أو إقليمية إنما هي فكرة عالمية لا تعترف بالفوارق والحدود التي وضعها الاستعمار بل تتخطاها لتقيم علاقة أخوة وتواصل مع جميع المسلمين والمستضعفين أينما وجدوا.

شكلت حركة التوحيد الاسلامي حالة شعبية إسلامية وأوجدت تيارا فكريا يؤمن بممارسة الإسلام في واقع الحياة والدعوة الى الاسلام من خلال القول والعمل، كما سعت لتوحيد المسلمين على الله والتقريب بين المذاهب الاسلامية لصالح الدين الأصل.

وكان لها ظهور على الساحة المحلية والإقليمية والدولية مما جعلها تلعب دورا بارزا في السياسة المحلية والإقليمية. كذلك فإنها أعادت للمسلمين في لبنان الثقة بقدرتهم على حمل الاسلام والعمل في إطاره على أعلى المستويات ودفعهم الى الريادة في قيادة المجتمع واتخاذ القرار الاسلامي المستقل. كما مثلت طموحات المسلمين وفجرت طاقاتهم وكان لظهورها ايضا رفع في مستوى المشاركة الشعبية في تحمل المسؤولية والدفاع عن القرار الاسلامي الى أعلى مستوى وأسقطت حاجز الخوف من الظلم والطغيان.

المبادئ والمنطلقات

منذ دخول الخلافة الإسلامية مرحلة الضعف ثم الانهيار والمسلمون يعملون على إعادة الحكم بكتاب الله في حياتهم، فأسسوا لذلك حركات وجمعيات وتنظيمات وأحزابا وهيئات متعددة، وكان للعلماء دور بارز في استنهاض الأمة، ولقد أخطأ بعضهم بتقدير الموقف واعتماد الاسلوب وأصاب آخرون فمهدوا الطريق.

ونحن نرى ان المسلمين أصبحوا اليوم اكثر إدراكا ووعيا للحاجة الى الاسلام بعد الظلم المتفشي في العالم والقهر والتمييز الغالب على المجتمعات التي تتصدى لقيادة العالم فغدت الحاجة لإقامة العدل في العالم والعمل على وحدة المسلمين بعد تفرقتهم أوجب وشعور المسلمين بالحاجة الى من يحميهم بعد غياب سلطة الخلافة اكبر. لذا ترافق تأسيس حركة التوحيد الاسلامي مع انتشار الوعي الاسلامي بين المسلمين وتعاظم مسؤولية الدعاة والحركات والعلماء اكثر من ذي قبل لأن الأمة اصبحت بشوق الى إعادة تحكيم شرع الله، ولهذا كان شعورنا بالمسؤولية الشرعية في تحمل أعباء هذا العمل إذ أن أهم قضايانا في هذا المجال هي الدفاع عن الاسلام والقرآن الذي علمنا ان ندفع بالتي هي أحسن، لذلك نؤكد ان كل من يدعو الى الله بصدق ملتزما نهج الرسول الكريم (ﷺ) يسير في المنهاج الصحيح، لأن الغاية هي تحرير الانسان من ظلم الانسان وتآخي الانسانية على الله لأن الرسول (ﷺ) ـ بعث رحمة للعالمين، وآخى بين سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وأبو بكر العربي.

إن شمولية الدعوة وصلاحيتها لكل زمان ومكان تدفعنا الى اعتبار الساحة اللبنانية مجالا خصبا للعمل الاسلامي ـ لبنان جزء من هذه الأمة ـ يُلزمنا التنوع فيه حكمة الوعي كما يعطينا غنى فكريا وثقافيا واسعا معتمدين على الحوار الاسلامي الذي يحفظ حرية الاعتقاد قال عز وجل: «وقُل الحقُّ من ربِّكُم فمن شاء فليُؤمن ومَن شاء فليَكفُر» أما من يخالفنا الرأي والمعتقد فإننا ندعوه الى حوار العقلاء الذين يريدون الوصول الى نوع من الأخوة الانسانية ومعرفة الحق.

الأهداف

إن الهدف الأسمى والأبعد هو ان نؤسس دولة لله في عالم الإنسان لا يستعلي فيها أحد على أحد ولا يظلم فيها إنسان إنسانا آخر لأنها دولة العدل الإلهي التي أمر الله رسوله بإقامتها وهو القائل: «وأنِ احكُم بينهم بِما أنزل الله ولا تَتَّبِع أهواءَهُم»، وهي دعوة عالمية، فالرسول أرسل للناس قال عز وجل «وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيرا ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمُون»، وقال جل من قائل (قُل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له مُلك السماوات والأرض لا إله إلا هو يُحي ويُميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأُميِّ الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) فيجب العمل على ان تتوفر شروط قيام هذه الدولة لأن الإسلام هو سيطرة الأمر لله على عباد الله لا سيطرة المسلمين على العباد، فالإسلام لا يقبل سيطرة الانسان على أخيه لأن ذلك عبودية وتأله وبذلك يصبح الإنسان فرعونا، من هنا فإن قيام دولة الاسلام ليس تلسطا للمسلمين على غيرهم بل هو إقامة العدل في حياة الناس ولو كانوا خصوما. ونحن نعتبر ان قيام مجتمع إسلامي ونظام حكم إسلامي في اي مكان هو تحرر من رقة الاستعباد ونعتبر أنفسنا معنيين بتأييده ومناصرته.

وإن هدفنا المرحلي هو العمل على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد صفهم وطاقاتهم ونعتبر أن كل الانقسام الذي حصل في أمتنا هو انقسام سياسي في مجمله، أدى الى انقسام مذهبي واجتماعي لذا وجب تجاوزه. من هنا نؤكد ان أولوياتنا هي جمع كلمة المسلمين إذ لا يجوز ان تفرقنا المسائل الخلافية. ولهذا فإن دعوتنا لكل المسلمين هي ان يوحدوا جهودهم الدعوية والسياسية والجهادية من اجل حماية هذا الدين وتبليغه الى العالم.

من هنا فإن غاية حركة التوحيد الإسلامي غاية دعوية رسالية تبليغية سياسية جهادية سلوكية وتنطلق في غايتها هذه من كتاب الله وما فيه من أوامر ونواهي وعظات وتوجيهات وسنة النبي (ﷺ) وما فيها من تقرير وتوضيح وتنفيذ وإفهام. فحركة التوحيد الاسلامي تحمل الاسلام الشمولي وتدعو إليه على بصيرة وتعتبر ان الدعوة الى الله عز وجل ونشر دينه والعمل الصالح هو أحسن القول والعمل ولتحقيق ذلك ينبغي على المسلمين ان يكونوا على مستوى حمل هذه الأمانة.

وإن غاية حركة التوحيد تعبئة الأمة صغيرها وكبيرها من اجل مقاتلة العدو اليهودي الحاقد المحتل لأرضنا ومقدساتنا والعمل على ان تكون الأمة على استعداد تام من أجل المعركة الفصل عبر إعداد جسدي وروحي ومعنوي.

ولا بد لتأدية هذه الأمانة وتبليغ الدعوة من اتباع كافة الطرق والوسائل المتاحة والمباحة ابتداء من العمل الفردي وانتهاء بالعمل الجماعي والمؤسساتي واستخدام وسائل إعلامية وتعليمية تتلاء م مع مستلزمات العصر الذي نعيش، وطريقنا الى هذا هو في العمل التوحيدي الشوروي الجهادي الجماهيري.

١ـ توحيدي: لقوله تعالى: «إنَّ هذه أُمتكم أُمة واحدة وأنا ربكم فاعبدُون»، وقال الرسول (ﷺ): «يد الله مع الجماعة».

٢ـ جهادي: لقوله تعالى: «يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القتال إن يكُن منكُم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكُن منِكُم مائةٌ يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهونَ (٦٥)»، وقوله تعالى: «وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدُوَّكُم وآخرين من دُونهم لا تعلمُونهم الله يعلمُهُم وما تُنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمونَ (٦٠)» لذلك علينا العمل على إعداد الأمة جسديا وروحيا من اجل تحرير أرضنا ومقدساتنا من رجس العدو اليهودي الذي نعتبر قتاله واجبا شرعيا لجميع العرب والمسلمين.

٣ـ شوري: لأن مبدأ الشورى مبدأ اسلامي أقره القرآن والسنة، قال تعالى: «وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله».

٤ـ جماهيري: نسعى لعمل جماهيري عالمي يضم كل طبقات المجتمع توجهه وتنظمه قيادة رشيدة واعية تواكب الصحوة

الاسلامية في العالم وتسير بالبشرية نحو مستقبل أفضل.

العلاقات

ـ العلاقة مع الحركات والجمعيات الاسلامية:

نحن جزء من كل نتكامل مع جميع الحركات والجمعيات الاسلامية المخلصة ونشعر بالحاجة لها مصداقا لما ورد في الأثر: «المسلم ضعيف بنفسه قوي بأخيه»، وننظر الى المسلمين نظرة تكامل ونعتبر كل حركة وجمعية وجماعة بل وكل فرد من المسلمين هو على ثغر من ثغور الاسلام. فعلاقتها أساسية ومبدئية بالحركات والتنظيمات والمؤسسات الاسلامية لا يمكن ان تفك عراها.

ـ العلاقة مع عموم المسلمين:

لا نقف عند الفروقات المذهبية بل ندعو لتجاوز الخلافات والعودة الى العصر النبوي الذي هو العصر المثالي الذي يتمثل به كل الناس: «خير القرون قرني ثم الذين يلونه ثم الذي يلونه».

ـ العلاقة مع الاحزاب السياسية العقائدية:

ـ من الناحية العقائدية لهم علينا حق الدعوة للاسلام بالتي هي أحسن: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة».

ومن الناحية السياسية نعتبر أنفسنا في صف كل من يقف في خندق أمته وفي خندق المستضعفين ضد العدو الصهيوني والاستكبار العالمي، لذلك يحكم موقفنا بهذه الاحزاب موقفها من العدو الاسرائيلي والحركة الصهيونية العالمية وقوى الاستكبار العالمي فمن والاهم عاديناه ومن عاداهم هادناه، لقوله تعالى:

«لا ينهاكُم الله عن الذين لم يُقـــاتِلُوكُم في الدِّين ولم يُخــرِجُوكُم من ديارِكُم أن تَبَرُّوهم وتُقسطوا إليــهـم إن الله يُحـبُّ المُقسـطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قـاتلوكُم في الدِّيـن وأخرجـوكم من ديـاركم وظاهروا على إخراجِكُم أن تَوَلَّوهم ومن يتـولَّهُم فأولئك هم الظـالمون» المتحنة (٩)

ـ العلاقة مع أهل الأديان الاخرى:

من الناحية الإيمانية يحكم تعاطينا مع اهل الأديان الاخرى الدعوة الى الكلمة السواء لقول الله تعالى: «قُل يا أهل الكتابِ تعالوا الى كلمـة سـواء بيننا وبينكُم ألا نعبُد إلا الله ولا نُشـرك به شيئا ولا يتَّـخذ بعضُنا بعضـا أربابا من دُون الله فـإن توَلّوا فقـولوا اشـهدوا بأنّا مُسلمون».

ومن ناحية التعاطي فإن العلاقة يجب ان تكون قائمة على البر والقسط الذي هو أعلى درجات العدل قال تعالى: «لا ينهاكُم الله عن الذين لم يُقاتِلوكُم في الدين ولم يُخرِجوكم من دياركم أن تبرُهم وتُقسِطوا إليهم إن الله يُحبُّ المُقسطين».

ـ نظرتنا الى لبنان:

لبنان جزء من العالم العربي والاسلامي نعيش فيه ونحافظ على صيغة العيش بين أبنائه رافضين الظلم مطالبين بحقنا في الحياة الكريمة داعين الى تطبيق العدل الإلهي فيه غير متنازلين عن حقنا الدعوي والسياسي والاجتماعي.

ـ العلاقة مع سوريا:

سوريا هي جزء من عالمنا العربي والاسلامي وهي عمقنا الجغرافي والتاريخي، ولسوريا في المرحلة الراهنة دور ريادي وموقف رائد ومميز عن سائر الدول نثمنه ونكبره وندعم مواقفها في رفض الصلح والتطبيع مع اسرائيل ودعمها للمقاومة ونعتبر أنفسنا جزء من كل وقفة شجاعة جريئة وواضحة في وجه الصهيونية والاستكبار العالمي.

ـ العلاقة مع الدول العربية والإسلامية:

علاقتنا مع جميع هذه الدول مرتبطة بقربها من الاسلام والعدل وبعدها عن الظلم والتطبيع مع اسرائيل.